ثقافات الشعوب

@ketab_n
Follow Me
4.11.2014

@ketab_n

سيدة الغابة

حكايات شعبية سلافية

جمع: آ. هـ. فراتسلاف
ترجمة: فالح حسن قزع

سيدة الغابة

حكايات شعبية سلافية

@ketab_n

جمع:
آ. هـ. فراتسلاف

ترجمة:
فالح حسن فزع

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

سيدة الغابة

حكايات شعبية سلافية

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

سيدة الغابة: حكايات شعبية سلافية.

© حقوق الطبع محفوظة
هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

GR139.W73812 2010
Wratislaw, Albert Henry, 1822-1892
[Sixty Folk-Tales From Exetusively]
سيدة الغابة: حكايات شعبية سلافية/ جمع آ.هـ. فراتسلاف، ترجمة فالح حسن فزع- ط.1.-
أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2010.
184ص: 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-351-8
ترجمة كتاب: Sixty Folk-Tales From Exetusively Slavonic Sources
1 - القصص الشعبية السلافية. 2 - الحكايات السلافية. أ- فزع، فالح حسن. أ- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبو هواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان

info@kalima.ae
www.kalima.ae
كلمة KALIMA
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
استهلال	9
تقديم	15
حكايات سلافية غربية	23
حكايات من بوهيميا	24
طويل وعريض وحاد البصر	27
شعرات الجد «آلنو» الذهبية الثلاث	44
ذهبية الشعر	59
الذكاء والحظ	73
جنيات الغابة	79
سيدة الغابة	86
جورج صاحب المعزاة	98
حكايات من مورافيا	106
عرّابة الموت	108
الإخوة الأربعة	114
حكايات هنغارية سلوفينية	123
الليمونات الثلاث	125
حصان الشمس	146
الغزّالة الذهبية	159
أغاضب أنت؟	170
ملاحظات لاحقة	175

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها – مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة – تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

Twitter: @ketab_n

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه – وإن بلغة أخرى – جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

استهلال

نهض اهتمام كبير مؤخراً[1] بالتقاليد الشعبية وما يتصل بها مما يغنينا هنا عن تقديم تسويغ إضافي لهذا الموضوع للقارئ البريطاني. ففضلاً عن أهمية الموضوع بحد ذاته، فقد ضاعف من أهميته بروز «علم الأساطير المقارن» الجديد والتقدم الذي قطعه، إذ أثمر عن نتائج كبيرة، ولا يزال يَعِدُ مستقبلاً بالإتيان بنتائج أكبر بكثير كما شهدنا في الماضي عندما وُضِعَتْ البيانات المطلوبة في هذا المجال لاستقراء تام وكامل في متناول الباحث المحقق. ومع أن حكايات أغلب الأعراق الأوروبية قد طُرِحَت على طاولة الدرس، إلاّ أن الحكايات السلافية لم تفحص حتى الآن إلا بشيء يسير منها. وقد أتاحت لي الظروف أن أُسهم بإضافة كبيرة إلى ما يعرف الآن بالتراث الشعبي السلافي، هذا على أن ليس بمقدوري الادعاء باستنفاد كل ما في منجم ذلك التراث، بل قُل مناجمه الكثيرة، التي تتوافر عليها الأعراق والقبائل السلافية، التي لمّا تزل، بنحو أو بآخر، تنتظر مستكشفين متخصصين.

(1) صدر الكتاب، الذي بين يدي القارئ، في العام 1889، لندن (م).

Twitter: @ketab_n

وأجد من الملائم، عند تقديم طائفة تضم ستين حكاية شعبية تراثية (ضمن هذه الترجمة العربية هذه الحكايات مقسومة إلى ثلاث مجموعات وذلك بهدف تسهيل القراءة، وبالتالي إذا وجدت بعض الأمثلة من الحكايات ليست ضمن هذه المجموعة فستكون ضمن واحدة من المجوعتين الأخريين) تُرجمت من مصادر سلافية حصراً، إعطاء بعض التصور عن العمل الذي أخذتُ عنه هذه الحكايات.

في العام 1865، نشر الراحل ك. ج. ايربن المؤرشِف الشهير في مدينة براغ القديمة، ما يطلق عليه التشيكيون تشيتانكا، أي كتاب قراءة، بقصد تمكين البوهيميين من دراسة لهجاتهم كلها على تنوعها، وكان هذا الكتاب يتضمن مئة قصة وحكاية شعبية وطنية بسيطة بلهجاتها الأصلية. وذيّل هذا العمل بمعجم موجز باللغة البوهيمية شرح فيه كلمات وصياغات غريبة على البوهيمية أو تشط عن استخداماتها. توزع هذا المعجم على جزأين، أما الأول فيصور حكايات أولئك السلافيين الذين يستخدمون الحروف السيريلية، وينتمون إلى الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية، وأما الثاني فيصور حكايات السلافيين الكاثوليك والبروتستانت، الذين يستخدمون أبجدية قائمة على الحروف اللاتينية كما

Twitter: @ketab_n

الحال في أوروبا الغربية. وأولى إيربن عناية خاصة لصياغات محلية بسيطة لا تزال ألسن الناس تتداولها، بالنحو الذي تنطقه شفاههم، وإلى جانب ضمه مجموعات حكايات نُشِرت قبلاً، فقد قدم الكثير من الحكايات غير المنشورة.

ومع انه يبتدئ بلغته الأم، اللغة البوهيمية، فهو يتطرق إلى لهجات جدُّ قريبة منها كالمورافية والهنغارية ـ السلوفينية (السلوفاكية)، ثم يعرج إلى اللوزاتية العليا والسفلى، إذ تتصل اللوزاتية العليا بالبوهيمية القديمة، بينما تنحو اللوزاتية السفلى إلى اللغة البولندية. ثم يمضي إلى الكاشوبية، التي هي لهجة بولندية فرعية لم تدم طويلاً، لينتقل بعدها إلى اللغة البولندية نفسها.

وتأتي بعد ذلك لغة روسيا البيضاء، مُشَكلّة انتقالاً من البولندية إلى لغة روسيا الكبرى، ذلك أن لغة روسيا الصغرى[1] في غاليسا، أي أوكرانيا، وجنوب روسيا، هي الأقرب إلى البوهيمية من لغة روسيا البيضاء. فاللغة الروسية القديمة، التي كانت أيضاً أكثر قربا أيضاً إلى البوهيمية القديمة، هي أصل الروسية الكتابية بشكلها الحالي، وتمثل انتقالاً إلى البلغارية، التي تذوب، في المنطقة الشمالية الغربية، بالصربية، التي تدنوا هي أيضاً بفرعها

(1) هي التسمية التي كانت تطلق في عهد الإمبراطورية الروسية قبل القرن العشرين على الأراضي التي تعرف اليوم بأوكرانيا(م).

Twitter: @ketab_n

الكرواتي، بالقرب من فارازدين ، من البوهيمية كثيراً. هذا على أن الاليرية ـ السلوفينية– في كارينثيا، المنطقة القريبة جغرافياً من بوهيميا، تنطوي على صياغات تبتعد كثيراً عما تتداوله اللغة البوهيمية، بالضبط كما إن اللوزاتية العليا أدنى قرباً إلى البوهيمية من الكاشوبية البعيدة محلياً.

كنت قد اطلعت على كتاب إيربن أصلاً من أجل الغرض الذي وضع من أجله، بمعنى أني أردت معرفة السمات الرئيسة في اللهجات السلافية كلها، لكني وجدت نفسي وقد رحت أترجم النسبة الأعظم من الحكايات مأخوذاً بروعة بعضها وسحره. أما وأني لا انتقي هنا مجموعة أوسع حجما، فذلك مردّه إلى حقيقة أن الكثير جدا من حكايات روسيا الكبرى، التي يطلق عليها، قد نقل إلى الانجليزية بترجمة تثير الإعجاب، وبطباعة مشفوعة برسوم على يد صديق لي ـ أأسف على قرن صفة الراحل به ـ هو السيد و. ر. رالستن، ناهيك عن أني لا أراها تدخل في نطاق هذا العمل الذي أقدمه بين يدي القارئ إلا نادراً.

ولابدّ لي أن أسجل عرفاني إلى الأستاذ غريغور كريك، من كلية غراتز، في كورينت ستيريا[1]، بشأن حكاية الكائن

(1) ولاية في جنوب شرق النمسا، وهي بالألمانية شتايرمارك Steiermark(م).

Twitter: @ketab_n

الأسطوري الفريدة، التي لا تظهر إلاّ في الحكايات الصربية في منطقة كارنيولا[1]. وسيجد القارئ إشارة إلى ذلك في صدر الحكايات التي تأتي على ذكر هذه الأسطورة.

وعَمدتُ إلى وضع مقدمة تصديرية قصيرة تنطوي على جوانب اهتمام متنوعة، لكل مجموعة من الحكايات، حسب تتابع تصنيفها، وطبقا لاختلاف لغاتها، أو لهجاتها، أو لهجاتها الفرعية.

(1) باللغة السلوفينية كرانياسكا Kranjska، وبالألمانية كرين Krain، وهي منطقة تقليدية وتاريخية في سلوفينيا، وكانت تعرف بدوقية كارنيولا عندما كانت جزءاً من النمسا وهنغاريا (الصرب)(م).

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

تقديم

الكتاب الذي بين يدي القارئ مجموعة شاملة (أنطولوجيا) لحكايات من أدب شعوب أوروبا الشرقية الشعبي. وقد جمعها الراهب ألبرت هنري فراتسلاف Albert Henry Wratislaw (1822–1892) ، ونقلها من اللغات السلافية إلى الإنجليزية وصدرت في لندن في العام 1889. بمعنى أن هذه المجموعة من الحكايات تعد من الأعمال التي أسست للاهتمام الكبير بالآداب الشعبية في الغرب في القرن التاسع عشر، الاهتمام الذي برز إثر نشر الفيلولوجيين الألمانيين جاكوب وفيلهلم جريم، المعروفين بالأخوين جريم، «حكايات بيتية» (مجلدان، 1815–1812، وترجمت إلى الإنجليزية في العام 1884)، إذ حث عملهما كُتّاباً من أمم غربية أخرى على جمع آداب شعوبهم الشعبية وتدوينها.

يغطي اصطلاح «حكاية شعبية» (فلكلورية) أي تراث سردي على تنوع أنماطه، شفوياً كان أم مكتوباً. وهذا سبب عسر صياغة تعريف شامل ودقيق لـ«الحكايات الشعبية» وتصنيفها ووصفها بنحو شامل ودقيق.

Twitter: @ketab_n

تشتمل أنماط السرد في تراث الأمم الشعبي على الخرافات والتراث، التي يطلق عليها بالألمانية «الساجا» (أي: حكى، قال، روى، سرد...) وتتفرع هذه إلى ثلاثة مجالات تغطي: حكايات خلق البشرية أو أصلها، وحكايات الكائنات الخارقة كالجان والأشباح، وحكايات الشخصيات التاريخية أو شبه التاريخية من قبيل روبن هود، أو عروة بن الورد، عروة الصعاليك، في الأدب العربي الشعبي.

فضلاً عن أن اصطلاح «حكايات شعبية» يغطي حكايات الشخصيات السحرية التي يفضل الباحثون استعمال التعبير الألماني مارتشن[1] للإشارة إليها. وهذه الحكايات دائماً ما تكون خيالية ولا تحدث في أي مكان على الأرض، أي أنها بلا مكان، أو منزوعة المكان، أو لا مكانية، ومن هنا يتأتى اختلافها عن الأساطير والخرافات وعن التراث الشعبي.

الخرافة قصة ينظر إليها في المستوى الشعبي على أنها تاريخية لكنها غير موثوقة الأحداث، لأنها غالباً ما تروي عن حقبة ما بعد الخلق، وتختلف عن التاريخ في أسلوب عرضها ونقطة تركيزها وغرضها، فيما «التراث» يجد أصله المفهومي في

(1) Märchen.

Twitter: @ketab_n

الأديان السماوية الثلاثة، اليهودية والمسيحية والإسلام. ففي اليهودية يعني «التراث» طقوس العقيدة الشفاهية وتعاليمها، وهي ليس ما جاء في التوراة، بل ما علَّمه الله تعالى لنبيه موسى «ع»، حسب ما تذكر المعاجم الغربية. ويُقصد به في المسيحية العقيدة غير المنصوص عليها صراحة في الكتاب المقدس بل هي المستنبطة من تعاليم السيد المسيح «ع» الشفاهية وحوارييه. أما في الإسلام فهي أحاديث النبي محمد «ص» وأفعاله، التي لم ترد في القرآن، بل عُدَّت «سنة» تأتي في المرتبة الثانية من مصادر تعاليم الإسلام. وهذا يفترض أن التراث يعني إلى حد كبير التعاليم والمعتقدات التي تتناقلها أجيال أمة معينة.

وتشتمل الحكايات الشعبية أيضاً على حكايات الحيوانات، وتُقدَّم الحيوانات فيها مثل كائنات بشرية في التصرف والسلوك والكلام.

ثم أن هناك نمطاً آخر يطلق عليه «حكايات الحيوانات»، ينطوي على دروس وحكم أخلاقية أو اجتماعية أبطالها حيوانات.

أما اصطلاح أساطير فيبدو تعبيراً معقداً لأنه قد يشير إلى بعض ما سبق ذكره، إلا انه يتعلق عموماً بوجود الآلهة، أو أنصاف

Twitter: @ketab_n

الآلهة، أو الأبطال الأسطوريين، أو يروي عن ماض مجيد لدى أمة ما. ولكل أمة أساطيرها التأسيسية، التي تروي عن نسبها وتشكلها وعلاقاتها الاجتماعية ونشاطها الاقتصادي وأمجادها.

على أن هناك حكايات شعبية تمزج بين تلك الصنوف كلها.

تجد هذه الأنماط من الحكايات الشعبية أمثلتها في الحكايات الستين التي جمعها وترجمها، بل بعضها دوّنه لأول مرة، فراتسلاف، ثم صنّفها جغرافياً.

يعد فراتسلاف، الذي يتحدر من عائلة أرستقراطية تنتمي إلى إمبراطورية هابسبورغ، من كبار المتخصصين بالآداب السلافية القديمة، في القرن التاسع عشر، وله كتب عدة في هذا المجال. تصفه معاجم السير بالباحث والمحقق الموهوب، إذ ترجم لتلك الآداب ووضعها في أنطولوجيات وعلق عليها، وهو بعد من العارفين بخصائص اللغات السلافية.

وتقول موسوعات تشيكية معاصرة إن عنايته بالأدب السلافي القديم دافعها اهتمامه بحركة الهوسيين المسيحية، التي ظهرت إثر أفكار المصلح التشيكي جان هوس (1369–1415)، وهو من رواد الإصلاح البروتستانتي، واهتمامه بالبروتستانتية الإنجليزية.

Twitter: @ketab_n

حاضر فراتسلاف في جامعات لامعة من بينها أكسفورد في مجال أدب العصور الوسطى التشيكي، وفي الآداب السلافية عموماً وأساطيرها.

الحكايات الشعبية عموماً مرصودة للإلقاء الشفاهي، حتى وإن كانت مدوَّنة، أي أنها تنطوي على «راوٍ» يتحدث «الآن»، و«جمهورٍ متلقٍ» يستمع للأحداث وهي تتشكل «الآن» أيضاً، في حين أن الرواية أو القصة، تفترض قراءة «فردية» على الرغم من أن كتاباً غربيين قبل القرن العشرين مارسوا «الرواية المتسلسلة» في الصحف. بمعنى أن الاتصال في حالة الحكايات الشعبية آني وراهن، وليس مُرجّأً، كما مع النص المُنتَج أصلاً كتابة. وهذا الاختلاف ـ بين النص الشفاهي والنص الكتابي ـ يستحق الانتباه لأنه في كل مستوى يفترض تراكيب لغوية معينة، نحواً وتركيباً وبلاغة، أي ملائمة من حيث التعبير للمستمع أو المُخاطَب، وهذا ما يطلق عليه بـ«مستوى اللغة»، حسب الدراسات اللسانية الغربية الحديثة، ومقولة «لكل مقام مقال» في التراث البلاغي العربي.

مع حكايات السلافيين هذه نتعرّف مستوى لغة آداب أوروبا الشرقية الشعبية، بل وحتى بلاغة الأدب الشعبي الإنجليزي

Twitter: @ketab_n

ـ لغة فراتسلاف، في القرن التاسع عشر، فضلاً عمّا تعكسه هذه النصوص من فكرة عن طبيعة العلاقات الاجتماعية في تلك المجتمعات ومعتقداتها وتقاليدها واقتصادها، قبل القرن التاسع عشر، بقرون ربما. بل إن الفكرة والمتعة فيها جعلها مادة، بل منجماً بتعبير فراتسلاف، لأفلام للصغار والكبار حتى اليوم، تُروى بصرياً كما هي، أو تُعاد صياغتها أو تُقدم عنها نصاً بديلاً.

لقد أقدمَ مشروع «كلمة» على نقل «ستون حكاية من الأدب الشعبي السلافي» (العنوان الأصلي للكتاب) ضمن مجموعة واسعة من حكايات الأمم الأخرى، ليعرض جانباً آخر من حياة شعوب غالباً ما تغيب عنا حياتهم اليومية وجوانبها الاعتيادية، التي هي بلا شك غير تلك التي نستنبطها من نتاجات الأدب الحديث غير الشعبي.

بقي أن نشير إلى أن عملية الترجمة وتعاملها مع صياغات النص القديمة ومستوى لغته، بل مع بعض الارتباكات التي بدت في النص الأصل، قد أفادت من موسوعات غربية ومعاجم عدة.

Twitter: @ketab_n

هذه الحكايات، على الرغم من عوالمها السحرية والعجائبية، لا تتخلى عن الواقع، بل تراها تستعين بالخيال للتغلب على الواقع.

فالح حسن فزع

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

حكايات سلافية غربية

Twitter: @ketab_n

حكايات من بوهيميا

الحكايات التي نقدمها هنا في هذه الفئة مترجمة عن السكان السلافيين الذين يقطنون نحو ثلاثة أرباع بوهيميا[1]، أي جمهورية التشيك، التي يكتبها البولنديون، وإذا ما اعتمدنا أقرب رسم إملائي للكلمة تتيحه الأبجدية الإنجليزية لنا، فنكتبه. إذ أن هذه الأمة توافرت منذ وقت مبكر على أدب متطور، ابتدأ قبل تأسيس جامعة براغ (بالتشيكية براها) على يد الإمبراطور شارل الرابع في العام 1348. لذا لعل بوسع البوهيميين أن يدعّوا بحق أنهم أرقى أمم أوروبا تعليماً. فقد ولد من بين ظهرانيهم كاتب ناثر لا نجد له نظيراً في الأدب الإنجليزي حتى مجيء عصر الملكة اليزابيث ـ ذاك هو توماس الستتني[2]، الذي نشر أول أعماله الأصيلة في العام 1377. بيد أن شعب بوهيميا وأدبها

(1) باللغة التشيكية: تشيشي: منطقة تاريخية تقع وسط أوروبا، وتحتل ثلثي الأراضي التشيكية التقليدية، التي يطلق عليها حالياً جمهورية التشيك. وبالمعنى الواسع، غالباً ما تشير هذه التسمية، بوهيميا، إلى أراضي التشيك كلها، التي تتضمن مورافيا Moravia والتشيك السيليزية Czech Silesia، بخاصة في السياقات التاريخية، مثل مملكة بوهيميا. والتشيك السيليزية هي إحدى أراضي التشيك الثلاثة وجزء من منطقة سيليزيا التاريخية، وتقع شمال شرق جمهورية تشيكيا (م).

(2) Thomas of Stitny.

Twitter: @ketab_n

عانيا في حرب الثلاثين عاماً (1620)[1] دماراً على مدى ما يزيد عن قرنين من الزمان، وتدنى عدد السكان خلال تلك الحرب الرهيبة إلى ثمانمئة ألف شخص بعد أن كان يربو على أربعة ملايين.

اللغة البوهيمية بحد ذاتها لغة رائعة. ذلك أنها تتمتع بنبر ونظام صوتي مستقلين عن بعضهما، كما الحال مع اللاتينية واليونانية. عليه، من الصعب على أجنبي أن يقرأها بصوت عال أو يتكلمها، فهو إنْ أولى عناية بالنبر، سيهمل الصوت، وإذا ما اهتم بالصوت، فالأرجح انه لن ينطق الكلمات بالنحو الصحيح. ثم أنها كما البولندية، تستخدم صوت «r» حاد، يصعب نطقه في الكثير من الكلمات. كما أنها تكتب شبه الصوائت semi–vowels، بخاصة حرف «r»، من دون صائت vowel، حتى أن العديد من مقاطع الكلمات syllables تظهر وكأن لا وجود لصائت فيها. إلا أن هذا يكفي للانتباه إليه مرة واحدة وكفى، ولن يشكل صعوبة حقيقية في النطق.

(1) حرب الثلاثين عاماً (1618-1648) من أشد الحروب دماراً في التاريخ الأوربي، كانت ساحته الرئيسة، وليست الحصرية، ألمانيا وفي بعض مراحله طال اغلب بلدان أوروبا . لعل الوقوف على أصل الصراع وأهداف المشتركين فيه أمر معقد ويصعب تتبع جذوره بدقة. لكن مصادر تاريخية غربية عدة تقول إنه صراع على خلفيات مذهبية بين البروتستانت والكاثوليك في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، فضلاً عن نزاعات بشأن توجهات السياسة الداخلية وتوازنات القوى داخل الإمبراطورية(م).

Twitter: @ketab_n

إن حكايات الجان التي تروي عن سكان الغابات الخارقين، طيبين أم حقودين، لهي حكايات مميزة ولافتة للنظر. ففي الحكاية الخامسة، تتمثل هذه الكائنات الخيالية في باب الفئة الأخيرة، وفي الحكاية السادسة تتمثل في الفئة الأولى.

في الحكايات البوهيمية، نجدنا بإزاء نوعين من الماء، واحد للموت وآخر للحياة، تماماً كما في الحكايات الروسية ـ وهي نقطة تختلف فيها الحكايات السلافية على الدوام عن حكايات أوروبا الغربية، التي تعترف بماء للحياة وحسب. وكما يلاحظ السيد رالستن (أغانٍ من الشعب الروسي، ص 97) فـ«عندما يوضع ماء الموت على جراح جثة، يشفيها، لكن لإعادة الجسد إلى الحياة، لابدّ من رش ماء الحياة عليه».

Twitter: @ketab_n

طويل وعريض وحادّ البصر

كان يا ما كان مَلِكٌ أوغل به العمر و لم يكن له سوى ولد واحد. وذات مرة دعا ابنه هذا وقال له: «بنيَّ العزيز! أنت تعلم أن الفاكهة القديمة تسقط من الشجرة لتفسح المكان لفاكهة أُخرى. وقد أينع رأسي، وربما لن تطلع الشمس عليه قريباً، لكن قبل أن تدفنني، أتمنى أن أرى زوجتك، ابنتي المستقبلية. فيا بنيَّ تزوج!».

فقال الأمير: «سأكون مسروراً يا أبي في تحقيق أُمنيتك، لكن ليس في بالي عروس محددة ولا أعرف أي واحدة ستكون».

فمدّ الملك يده في جيبه، وأخرج مفتاحاً ذهبياً وقدمه لابنه الأمير قائلاً له: «اذهب إلى البرج واصعد إلى أعلى طابق فيه، وانظر حولك، ثم أخبرني إلى مَنْ مال هواك».

فذهب الأمير من فوره. و لم يكن أحد قد صعد هناك إلى الأعلى، أو قد سمع شيئاً عما كان هناك.

وعندما وصل إلى الطابق الأخير، رأى في السقف باباً حديدياً

Twitter: @ketab_n

صغيراً كأنه باب مسحور. وكان الباب مغلقاً. فتح الأمير الباب بالمفتاح الذهبي، وفتحه، ودخل. كانت هناك غرفة واسعة مستديرة. كان سقف الغرفة أزرقَ مثل السماء في ليلة صافية، ونجوم من فضة تتلألأ فيه. أما الأرض فمفروشة بسجاد من الحرير الأخضر، وكان في الجدران اثنتا عشرة نافذة إطاراتها ذهبية، وقد رسم على كل لوح من زجاج النوافذ الفضي فتاة بألوان قوس قزح، وعلى رأسها تاج، وعلى كل نافذة فتاة مختلفة عن الأخرى وبملابس مختلفة، وكل واحدة أجمل من الأخرى، لكن العجيب أن الأمير لم يسمح لعينيه أن تتمعنا بهن. وبينما يحدق بهن بدهشة، بدأت الفتيات بالحركة وكأن الحياة تدب فيهن، وأخذن ينظرن إليه من الأعلى، ويبتسمن، وكن يفعلن أي شيء سوى أنهن لم يكن يتكلمن.

وبينما الحال كذلك، لاحظ الأمير أن واحدة من النوافذ مغطاة بستار أبيض اللون، فراح يرفع الستار ليرى ما وراءه. كانت هناك فتاة ترتدي ملابس بيضاء، يطوقها حزام من فضة، وعلى رأسها تاج من لؤلؤ، كانت أجملهن جميعاً، لكنها كانت حزينة ووجهها شاحب، كأنها كانت خارجة من قبر. توقف الأمير أمام الصورة يتأملها طويلاً، كأنه اكتشف شيئاً، وبينما هو يحدق فيها بهذا النحو، شعر بألم يعتصر قلبه، وصاح: «هذه هي التي أريدها، ولا أحد سواها».

Twitter: @ketab_n

وما إن نطق هذه العبارة حتى أحنت الفتاة رأسها، واحمر وجهها خجلاً، وفي هذه اللحظة اختفت الصور الأخرى كلها.

نزل الأمير وقص على والده ما قد رآه وأي فتاة اختار، فبدا الحزن على الملك المسنّ، وفكر قليلاً ثم قال: «لقد فعلت سوءاً يا ولدي بكشفك ما كان يغطيه الستار، ووضعت نفسك بخطر شديد بسبب قولك تلك الكلمات. فتلك الفتاة في قبضة ساحر شرير، يحبسها في قلعة حديدية، و لم يعد إلى اليوم واحد من كل الذين حاولوا تخليصها. لكن الذي حدث حدث، والذي يخطب فتاة لابدّ من أن يفي بوعده لها. اذهب! وجرب حظك، وعد إلينا سالماً معافى!».

ودّع الأمير والده، وامتطى فرسه، ومضى بعيداً يبحث عن عروسه. وصار يتنقل على جواده حتى دخل غابة واسعة، وراح يسير ويسير في الغابة حتى أضاع طريقه. وبينما هو على حصانه يتخبط في الأدغال وبين صخور ومستنقعات، تائهاً غير عارف بطريق يخرجه من الغابة، سمع شخصا يصيح وراءه: «مرحباً! توقف!»، نظر الأمير من حوله، فرأى رجلاً طويلاً يهرول وراءه، صائحاً:

«توقف وخذني معك، واجعلني خادما لك، ولن تأسف على ذلك!».

Twitter: @ketab_n

فسأله الأمير: «من أنت، وماذا يمكنك أن تفعل؟».

أجابه الرجل: «اسمي طويل، وأستطيع أن أطيل نفسي».

ثم أشار بيده قائلاً: «هل ترى عش الطائر هناك على شجرة الصنوبر تلك؟ سأجلب لك العش من دون أن أتسلق الشجرة».

وصار طويل يطيل نفسه، ونما جسمه بسرعة حتى أصبح بطول شجرة الصنوبر، وأمسك بالعش، ثم قصّر نفسه ثانية وأعطى العش إلى الأمير.

فقال له الأمير: «أنت تتقن عملك جيداً، لكن ما نفع أعشاش الطيور لي، وأنت لا تستطيع إخراجي من هذه الغابة؟».

تنحنح طويل «إحم إحم! هذا أمر سهل»، وراح يطيل نفسه إلى أن صار أطول ثلاث مرات من أعلى شجرة تنّوب[1] في الغابة، ونظر حوله ثم قال: «هنا من هذا الجانب أقرب طريق لنا للخروج من الغابة». ثم قصّر نفسه، وأمسك بلجام فرس الأمير، وقبل أن تخطر في بال الأمير فكرة، كان الاثنان خارج الغابة.

بدا أمامهم سهل طويل وعريض، وكانت تتراءى وراء السهل صخور رمادية طويلة، مثل جدران مدينة كبيرة، وكانت تكسو

(1) شجرة من فصيلة الصنوبريات، دائمة الخضرة، منتصبة، أوراقها تشبه الإبر (م).

Twitter: @ketab_n

الجبال أشجار كثيفة. قال طويل فجأة وهو يشير بيده إلى السهل: «هناك، يا سيدي، ذاك الذي يمشي هو رفيقي!». وأضاف: «ربما عليكم أن تأخذوه أيضاً للعمل بخدمتكم، واعتقد أنه سيخدمكم أفضل خدمة».

فقال له الأمير: «ناده، وادعه ليأتي إلى هنا، حتى أنظر بأي شيء ينفعنا»، فأجابه طويل: «المسافة بعيدة جداً إلى حد ما، يا سيدي، ومن الصعب أن يسمعني، وسيأخذ وقتاً طويلاً حتى يصل إلينا، لأن لديه شيئاً ضخماً يحمله. لذلك سأقفز وراءه».

ثم صار طويل يطيل نفسه إلى مستوى دخل فيه رأسُه الغيوم، ثم مشى خطوتين أو ثلاث، وأحاط رفيقه بذراعه، ثم وضعه أمام الأمير. كان هذا الرفيق قصيراً بديناً، وله بطن ضخم كبرميل خشبي.

سأله الأمير: «من أنت، وماذا بإمكانك أن تعمل؟».

فأجابه: «اسمي، يا سيدي، عريض، وأستطيع أن أوسّع نفسي».

فطالبه الأمير: «أرني مثالاً».

فصاح عريض وهو ينفخ نفسه: «انطلق سريعاً، يا سيدي، سريعاً وعد إلى الغابة!». لم يفهم الأمير لماذا عليه الابتعاد، لكنه لمّا رأى

Twitter: @ketab_n

طويل يسرع بخطاه نحو الغابة، همز جواده وانطلق يعدو خلفه، فقد كان على الأمير مسابقة الوقت، وإلاّ فإن عريض كان سيسحقه، هو وفرسه وكل شيء، فيما بطنه تكبر سريعاً في كل الاتجاهات، وملأت بطنه كل مكان وكل شيء، تماماً كجبل عملاق. ثم توقف عريض وبدأ يخرج الهواء من فمه، ويعود إلى وضعه شيئاً فشيئاً، لكن الريح التي تسبب بها عصفت بأشجار الغابة فأخذت تنحني وتتمايل، وعاد إلى حالته الأولى.

فقال الأمير: «لقد أريتني شيئاً بارعاً. ولا أجد تابعاً مثلك كل يوم، تعال معي».

مضى الثلاثة قدماً في طريقهم. وعندما اقتربوا من الصخور، التقوا رجلاً كان يعصب عينيه بمنديل. فانبرى طويل قائلاً للأمير: «سيدي، هذا رفيقنا الثالث. عليكم أن تأخذوه أيضاً وتجعلوه في خدمتكم، وأنا متأكد أنه لن يأكل طعامه من أجل لا شيء».

فتوجه الأمير للرجل: «من أنت، ولماذا تعصب عينيك؟ أنت لا ترى طريقك!».

فرد الرجل: «كلا يا سيدي، بل العكس تماماً! فهذا لأني أبصر بحدّة تضطرني لعصب عيني، وأنا أبصر بعيني المعصوبة كما يبصر

Twitter: @ketab_n

الآخرون بعيونهم غير المعصوبة، ولو رفعت العصبة عنهما لرأيت كل شيء عبر كل شيء، ولو حدقت بشدة إلى كل شيء، لشبت فيه النار وتفجر شظايا من لهب، والشيء الذي لا يحترق يتفتت إلى قطع. لهذا السبب اسمي حاد البصر».

ثم التفت إلى صخرة قبالته، ورفع العصبة عن عينيه، وركز عينيه المتوقدتين عليها، فراحت الصخرة تطقطق، وتطايرت أجزاؤها في كُل جانب، وما هو إلا وقت قصير حتى صارت مجرد كومة رمل يلمع فيها شيء كأنه نار. ومضى حاد البصر ليحضرها وجاء بها إلى الأمير. فإذا بها ذهب خالص.

صاح الأمير متعجباً: «هيه! أنت تابع لا يمكن لأي مال أن يشتريه! ومجنون من لا ينتفع من خدماتك، وإذا كان لديك مثل هذا البصر، انظر وأخبرني ما إذا كانت القلعة الحديدية بعيدة عنا، وماذا فيها الآن؟».

فقال حاد البصر: «يا سيدي لو سرت إليها بفرسك لربما استغرق وصولك إليها عاماً، لكن معنا سوف تصلها في يوم بينما يعدون لنا عشاء فاخراً».

فسأله الأمير: «وماذا تفعل عروسي؟».

Twitter: @ketab_n

نافذة عليها مشبك من حديد أمامها،

في برج عال

جالسة تتنهد،

وساحر يراقبها، سجان يحبسها».

فبكى الأمير قائلاً: «من منكم مستعد فليساعدني لإطلاق سراحها!».

فقطع جميعهم وعداً له بمساعدته. وقادوه بين الصخور الرمادية عبر ممر شقّه حاد البصر لهم بعينيه، وراحوا يتقدمون عبر الصخور والجبال الشاهقة والغابات المدلهمة، وإذا ما واجهتهم أي عقبة في الطريق، يزيلها الرفاق الأربعة على الفور. وعندما كانت الشمس تنخفض باتجاه الغرب، كانت الجبال تصغر شيئاً فشيئاً، وتصير الغابات أقلّ كثافة، وتختفي الصخور بين المروج.

وبينما أوشك الغروب على حجب كل شيء، رأى الأمير أمامه قلعة حديدية لا تبعد عنه كثيراً، وعندما خيم الظلام، صعد على جسر حديدي يتجه إلى بوابة القلعة، وما إن وضعوا أقدامهم حتى ارتفع الجسر من تلقاء نفسه، وأُغلقت البوابة بحركة واحدة فوجد الأمير ورفاقه أنفسهم محبوسين في القلعة الحديدية.

عندما نظروا حولهم في الباحة، وضع الأمير حصانه في

Twitter: @ketab_n

الإصطبل، حيث كان كل شيء معدّاً لذلك. وكانوا يرون في الضوء الخافت في الباحة والإصطبل وصالة القلعة والغرف، العديد من الناس عليهم ملابس فاخرة، من سادة وخدم، لكن لم يكن فيهم أحد يثير ضجة؛ فقد تحولوا جميعهم إلى حجر. مر الرفاق بغرف عديدة، ووصلوا إلى صالة العشاء. كانت الصالة مضاءة بأنوار مبهرة، وفي وسطها وضعت مائدة عامرة بأفضل اللحوم والشراب، معدة لأربعة أشخاص. انتظر الرفاق وانتظروا، ظناً منهم أن أحداً ما سيأتي، لكن عندما لم يجيء أحد بعد مرور وقت طويل، جلسوا إلى المائدة وأكلوا وشربوا ما يشتهون ويريدون.

بعد أن أكملوا طعامهم، أرادوا مكاناً ينامون فيه. وهنا انفتح الباب بسرعة غير متوقعة بالمرة، وجاء الساحر، كان شيخاً منحنيّ الظهر بملابس سوداء طويلة، أصلع الرأس، ولحيته الرمادية تصل إلى ركبتيه، متحزماً بثلاثة أطواق حديدية. كان يجر بيده فتاة رائعة الجمال، ترتدي ملابس بيضاً، يطوّق خصرها حزام من فضة، وعلى رأسها تاج من لؤلؤ، لكنها بدت شاحبة حزينة، كأنها خرجت من قبر. عرفها الأمير حالما رآها، فوثب نحوها ليلقي التحية عليها، لكن قبل أن ينطق بكلمة وقف الساحر أمامه وقال له: «أعرف سبب مجيئك، تريد أخذ الأميرة بعيداً. حسنٌ، ليكن ذلك! خذها، لكن إذا تمكنت من الحفاظ عليها ثلاث ليال أمام ناظريك كي لا تختفي منك. ولو اختفت، ستتحول إلى حجر ومعك خدامك الثلاثة، مثل

Twitter: @ketab_n

كل أولئك الذين جاءوا من قبلك».

ثم أشار بيده إلى الأميرة لتجلس على كرسي وغادر.

لم يستطع الأمير رفع ناظريه عن الأميرة، فقد كان جمالها مبهراً. وراح يتحدث إليها، ويسألها كل ما خطر في باله من أسئلة، لكنها ما كانت تجيبه ولا تبتسم إليه، بل ظلت جامدة لا تنظر إلى أحد وكأنها قدّت من صخر.

جلس الأمير في الأرض قبالتها، وصمم على عدم النوم طوال الليل كي لا تختفي منه، وكي يضمن ذلك، مدد طويل نفسه مثل حزام والتف على طول جدران الغرفة، أما عريض فوضع نفسه حارساً على مدخلها، ونفخ نفسه وأحكم المكان إلى درجة أن فأراً لا يستطيع النفاذ، فيما وضع حاد البصر نفسه أمام عمود في منتصف الغرفة كي يستطيع رؤية كل ما فيها. لكن بعد مدة من الوقت بدأت رؤوس الجميع تتمايل من التعب، وشعروا بالنعاس، فناموا طوال الليل، تماماً وكأن الساحر ألقى بهم في الماء[1].

عند طلوع فجر النهار، كان الأمير أول من استيقظ منهم، لكن وكأن سكيناً غرزت في قلبه، فهو لم يجد الأميرة! فأوقظ على الفور خدامه، وسألهم عما حدث. فقال حاد البصر: «لا

(1) كناية عن النوم الثقيل(م).

Twitter: @ketab_n

تهتم يا سيدي»، ونظر بحدة عبر النافذة ثم قال: «أراها الآن. إنها تبعد مئات الأميال في غابة، وفي وسط الغابة شجرة بلوط قديمة، وفي أعلى الشجرة ثمرة بلوط، وهي تلك الثمرة».

على الفور أخذه طويل على كتفيه، وأطال نفسه، وقطع عشرات الأميال بخطوة واحدة، فيما كان حاد البصر يدله على الطريق.

و لم ينقض وقت أطول من الدوران حول كوخ حتى وضع طويل ثمرة البلوط بيد الأمير، قائلاً له: «سيدي دعها تسقط على الأرض».

فتركها الأمير تسقط، وفي تلك اللحظة كانت الأميرة تقف إلى جانبه. وعندما بدأت الشمس ترتفع من وراء الجبال، انفتحت الأبواب المطوية محدثة ضجة عالية، ودخل الساحر الغرفة وابتسم بحقد، لكنه عندما رأى الأميرة عبس، وراح يتمتم، وتسمر بمكانه! وتكسّر أحد الأطواق الحديدية التي يلبسها وسقط منه. ثم أخذ الأميرة بيده وجرها بعيداً.

طوال النهار لم يكن لدى الأمير شيئاً يفعله سوى صعود القلعة والنزول منها، والتطلع إلى الأشياء العجيبة التي فيها. كان كل شيء فيها وكأن الحياة نزعت عنه في لحظة واحدة. وفي إحدى الصالات رأى أميراً، يرفع بيديه الاثنتين سيفاً يلوح به، كأنه كان يريد قطع

Twitter: @ketab_n

شخص ما إلى نصفين، لكن ضربته جمدت في مكانها: إذ تحول إلى حجر. وفي إحدى الغرف كان هناك فارس تحول إلى حجر، وكان يفر من شيء رهيب يتعثر عند عتبة الباب، موشكاً على الوقوع لكنه لم يكن يقع على الأرض. ويجلس أمام المدخنة خادم يمسك بيدٍ قطعة لحم مشوي، ويرفع بالأخرى لقمة إلى فمه، لا تصل إليه البتة رغم أنها أمام فمه تماماً، وتحول هو أيضاً إلى حجر. الكثيرون من غير هؤلاء الذين رآهم تحولوا إلى حجر، كل واحد كان بالوضع الذي كان فيه عندما قال الساحر: «تحوَّل إلى حجر».

كما أنه شاهد خيولاً عديدة رائعة وقد تحولت إلى حجر، كل شيء في القلعة وما حولها كان مهجوراً وميتاً. فكانت هناك أشجار، لكن من دون أوراق، ومروج لكن من دون عشب، ونهر لكنه لا يجري. و لم يكن في أي مكان هناك لا طير يغرد، أو زهرة، والزهرة ابنة الأرض، ولا أفراخ سمك في النهر.

في الصباح، وفي الظهيرة، وفي المساء، كان الأمير ورفاقه يجدون متعة وفيرة في القلعة، كان الطعام يأتيهم تلقائياً، والشراب يسكب في كؤوسهم من تلقاء نفسه. وبعد العشاء، انفتحت الأبواب المغلقة مرة أخرى، وأتى الساحر بالأميرة إلى الأمير ليحرسها. وعلى الرغم من تصميمهم جميعاً على عدم

Twitter: @ketab_n

النوم، إلا أن ذلك لم يجد نفعاً، إذ غالبهم النوم وناموا مرة أخرى. وعندما استيقظ الأمير فجراً و لم يجد للأميرة أثراً، قفز وسحب حاد البصر من ذراعه صائحاً: «هيه! استيقظ يا حاد البصر، أتعرف أين الأميرة الآن؟».

فرك حاد البصر عينيه ونظر ثم قال وهو يفرك عينيه: «أراها. هناك جبل يبعد مئتي ميل عنا، وفي الجبل صخرة، وفي الصخرة حجر ثمين، هي ذلك الحجر الثمين. ولو حملني طويل إلى هناك، لجلبناها».

أخذه طويل من فوره على كتفيه، وأطال نفسه، وقطع مئتي ميل بخطوة واحدة. وركز حاد البصر عينيه المتوهجتين على الجبل، فانهار الجبل، وتشظت الصخور ألف قطعة، والتمع من بينها الحجر الثمين. أخذوه وقدموه إلى الأمير، وعندما أسقطه على الأرض، ظهرت الأميرة واقفة إلى جانبه مرة أخرى. ولمّا جاء الساحر ورآها موجودة هناك، اضطرمت عيناه من الحنق، وتسمر في مكانه! ومرة أخرى تفرقع طوق حديدي آخر وتحطم. فتمتم وجَرَّ الأميرة إلى خارج الغرفة.

وفي ذلك اليوم الجديد كان كل شيء كما كان عليه في اليوم السابق. وبعد العشاء جاء الساحر بالأميرة ثانية، وتفرّس في وجه الأمير، ونطق بكلمات ازدراء «سيتبين مَنْ يباري مَنْ، فإما

Twitter: @ketab_n

أنت المنتصر وإما إنا». قال هذه الكلمات وغادر. وفي هذا اليوم استجمعوا كلهم قواهم كي يتجنبوا النوم. فلم يجلسوا، وأرادوا شغل أنفسهم بالمشي طوال الليل، لكن ذلك لم ينفع بشيء، فقد سُحروا، وراح واحدهم ينام بعد الآخر وهم يتمشون، واختفت الأميرة بعيداً عنهم.

استيقظ الأمير مرة أخرى في الصباح الباكر، وعندما لم يرَ الأميرة، أيقظ حاد البصر «هيه! استيقظ، يا حاد البصر! وانظر أين هي الأميرة!».

نظر حاد البصر طويلاً، «أوه يا سيدي! إنها بعيدة، بعيدة عنا! على بعد ثلاثمئة ميل هناك بحر أسود، وفي وسط البحر صدفة في القاع، وفي الصدفة خاتم من ذهب، وهي الخاتم. لكن لا تهتم! سنحصل عليها، لكن ذلك سيستغرق نحو يوم على طويل وليأخذ معه عريض أيضاً، فإننا في حاجة إليه».

فوضع طويل حاد البصر على كتف، وجعل عريض على الكتف الأخرى، وراح يقطع ثلاثين ميلاً في كل خطوة. وعندما وصلوا إلى البحر الأسود، دلّه حاد البصر على مكان الصدفة في الماء. فمد طويل ذراعه بقدر ما يستطيع، لكنه لم يتمكن من الوصول إلى القاع. عندها قال عريض: «انتظروا يا رفاق!

Twitter: @ketab_n

انتظروا قليلا وسأساعدكم».

وراح ينفخ نفسه بقدر ما يمكن أن تمتد بطنه ثم نزل إلى الشاطئ وأخذ يشرب. وفي وقت قصير صار الماء منخفضاً جداً حدّ أن طويل وصل بسهولة إلى قاع البحر وأخذ الصدفة إلى خارج البحر. واستخرج الخاتم منها، وأخذ رفيقيه على كتفيه، وأسرع عائداً. لكن في الطريق وجد بعض الصعوبة بالركض وفي بطن عريض نصف ماء البحر، فأنزله عن كتفه في وادٍ واسع. وضربه على ظهره ضربة أصدرت صوتاً مثل كيس سقط من برج، وفي لحظة امتلأ الوادي بالماء وصار بحيرة كبيرة حتى أن عريض نفسه زحف خارجاً منها.

في هذه الأثناء كان الأمير يواجه مشكلات كبيرة في القلعة. إذ أن المساء بدأ ينشر رداءه على الجبال، وخدّامه لم يعودوا بعد، وكلما كانت أشعة الشمس اللامعة تخفت، تعاظم قلقه، واكتسى جبينه بحبات عرق بارد. وسرعان ما بانت الشمس في الشرق مثل قَبس نار رقيقة، ثم طار الباب محدثاً دوياً هائلاً، وظهر الساحر على عتبة الباب. أجال نظره في الغرفة، و لم يجد الأميرة في مكانها، فضحك ضحكة مقيتة ودخل الغرفة. لكن ما كادت تمر لحظة حتى «بُب»! تحطمت النافذة إلى قطع، وسقط خاتم ذهبي على الأرض، وفي لحظة وقفت الأميرة في الغرفة مرة أخرى. كان حاد البصر يرى

Twitter: @ketab_n

ما يجري في القلعة، وفي أي خطر كان سيده، ويخبر طويل بكل ما يرى. فقام طويل بخطوة، ورمى الخاتم عبر النافذة في داخل الغرفة. فجأر الساحر غاضباً حتى اهتزت القلعة، ثم حدثت قرقعة شديدة بتحطم الطوق الحديدي الثالث الذي كان يتحزم به، وسقط عنه، فتحول الساحر إلى غراب أسود، وطار بعيداً عبر النافذة المحطمة.

ما كانت الفتاة الجميلة حتى اللحظة تتكلم، لكنها الآن تكلمت وشكرت الأمير على تحريرها، وتفتحت مثل وردة. ودبت الحياة في كل شيء في القلعة وما حولها في الحال. وذاك الذي كان في الصالة يمتشق سيفه، مطوحاً به في الهواء الذي تحرك ثانية مصدراً صوتاً، أعاده إلى غمده، وذاك الذي كان متعثراً عند عتبة الباب، سقط على الأرض، لكنه نهض فوراً وتحسس أنفه ليرى ما إذا كان مصاباً، والذي كان يجلس قبالة المدخنة وضع قطعة اللحم بفمه وراح يتناول غذاءه، وهكذا أكمل كل واحد ما كان قد ابتدأ به، من اللحظة التي توقف فيها. وفي الإصطبلات راحت الخيول تضرب قوائمها بالأرض مرحاً وتصهل، وصارت الأشجار حول القلعة خضراء مثل عروش، وامتلأت المروج بزهور من كل نوع، وفي الجو صدحت طيور القُبّر، وبدأت

Twitter: @ketab_n

أسماك كثيرة صغيرة تسبح في ماء النهر الصافي. كان كل شيء ينبض بالحياة، وعمّ السرور كل شيء.

في هذه الأثناء، تجمع عدد من النبلاء في الغرفة حيث كان الأمير، وراحوا يشكرونه على تحريرهم. لكنه قال: «لم أفعل شيئاً تشكروني عليه، فلولا وجود خدمي الأوفياء طويل وعريض وحاد البصر، لكنت أنا أيضاً في مثل حالكم». وانطلق من فوره في طريقه إلى ديار أبيه الملك، برفقة عروسه وخدمه. وفي طريقهم التقوا عريضاً فأخذه معهم.

بكى الملك المسنّ فرحاً بنجاح ابنه، فقد كان يظن أنه لن يعود. وبعد وقت قصير أقيم عرس كبير، ودامت الاحتفالات ثلاثة أسابيع، ودعي جميع الأمراء الذين حررهم الأمير. وبعد الزواج، أعلن طويل وعريض وحاد البصر إلى الملك الشاب أنهم سيمضون في العالم من جديد بحثاً عن عمل. وحاول الملك الشاب إقناعهم بالبقاء معه قائلاً: «سأعطيكم أي شيء تريدون، طوال حياتكم، ثم انتم لستم في حاجة إلى عمل على الإطلاق».

لكنهم ما كانوا يحبون حياة العاطلة، وطلبوا إذنه وانصرفوا ومنذ ذلك الحين يطرقون عيشهم في هذا المكان من العالم أو ذاك.

Twitter: @ketab_n

شعرات الجد (آلنو) الذهبية الثلاث

في زمن من الأزمان، كان هناك ملك يسعده صيد الحيوانات البرية في الغابات. وفي أحد الأيام طارد ظبياً لمسافة طويلة وضلّ طريقه. فوجد نفسه وحيداً، وحل الليل، وفرح كثيراً عندما وجد كوخاً صغيراً في ساحة وسط الغابة. كان يعيش في الكوخ فحّام. فسأله الملك عما إذا بمقدوره إرشاده إلى طريق الخروج من الغابة، واعداً إياه بمكافأة مجزية. فقال الفحّام: «يسعدني الذهاب معك. لكن كما ترى أتوقع أن تلد زوجتي، وليس في مقدوري الذهاب بعيداً. ثم أين تريد الذهاب في هذا الوقت من الليل؟ استلق على بعض القش في العلّية، وغداً صباحاً سأكون دليلك». وبعد وقت قصير رزق الفحّام بطفل. وكان الملك مستلقياً على القش في العليّة غير قادر على النوم. وعند منتصف الليل لاحظ شيئاً كأنه ضوء في المخزن. فنظر من خلال شق في اللوح الخشبي ورأى الفحّام نائماً، وزوجته مضطجعة

Twitter: @ketab_n

كالمغمى عليها، وثلاث ساحرات عجائز، كلهن بلباس أبيض، واقفات إلى جانب الطفل، وبيد كل واحدة منهن شمعة طويلة مضاءة.

قالت الأولى: «هديتي إلى هذا الولد هي أن أخطاراً عظيمة ستواجهه».

وقالت الثانية: «هديتي له أن يتخلص منها جميعاً ويعيش عمراً مديداً».

وقالت الثالثة: «وأنا سأمنحه زوجةً الطفلة التي ولدت اليوم لهذا الملك الذي يرقد في الطابق العلوي على القش».

ثم وضعت الساحرات شموعهن، وعدن إلى الصمت ثانية. وما كانت تلك الساحرات سوى الأقدار.

شعر الملك وكأن سيفاً غرز في صدره. ولم ينم حتى حلّ الصباح، مفكراً بما يفعل، وكيف ذلك، ليمنع حدوث ما سمعه. وعندما بزغ الفجر شرع الولد بالبكاء. استيقظ الفحّام ووجد زوجته قد نامت نوماً أبدياً. فراح ينشج: «أوه يا صغيري اليتيم! ما الذي سأفعله لك الآن؟».

Twitter: @ketab_n

فقال له الملك: «أعطني الطفل. وسأهتم به وأرعاه حق الرعاية، وسأعطيك من المال ما يغنيك عن العمل بالفحم».

سُرّ الفحّام لذلك، ووعد الملك بإرسال مربية إلى الطفل. وعندما وصل إلى قصره، أبلغوه بفرح غامر أن طفلة جميلة ولدت له بتلك الليلة وأي ليلة كانت. فقد كانت ليلة ليلاء شهدت المصائر الثلاثة. فعبس الملك، ودعا أحد خدمه، وقال له: «اذهب إلى ذلك الموضع في الغابة، تجد فحّاماً يعيش في كوخ. أعطه هذا المال، وسيعطيك طفلاً صغيراً. خذ الطفل وأغرقه في طريق عودتك. وإذا لم تغرقه، ستغرق أنت».

مضى الخادم، وأخذ الطفل ووضعه في سلة، وعندما وصل إلى جسر ضيق، يجري تحته نهر عميق وواسع، ألقى السلة بكل ما فيها بالماء. وعندما أبلغ الخادم الملك بما فعل، قال: «ليلة طيبة، أيها الصهر غير المرغوب فيه!».

اعتقد الملك أن الطفل غرق، لكنه لم يكن كذلك. فقد عام على الماء في السلة وكأنها مهده، ونام كأن النهر يهدهده حتى وصل إلى كوخ صياد سمك. وكان هذا الصياد جالساً على الضفة يصلح شبكته عندما رأى شيئاً ما يطفو على النهر، فقفز إلى قاربه، ومضى ليمسك به، وفي اليابسة أخرج الطفل

Twitter: @ketab_n

من السلة. ثم مضى إلى زوجته، وقال لها: «كنت دائماً تريدين ابناً صغيراً، وها هو لديك. جاء به الماء إلينا».

فرحت زوجة الصياد، وصارت ترعى الطفل وكأنه ابنها. وأسمياه «بلافتشيك» أي «عائم»، لأنه وصل إليهم عائماً على الماء.

كان النهر يجري والسنين تمضي، ومن ولد صغير صار شاباً وسيماً، لا شبيه له في طول البلاد وعرضها. وفي أحد أيام الصيف، حدث أن كان الملك يركب فرسه وحده فمر بكوخ الصياد. كان الجو حاراً، وعطش الملك، فأومأ إلى الصياد بأن يعطيه قليلا من الماء العذب. وعندما جاء «عائم» لناوله الماء، نظر إليه الملك بانبهار. وقال للصياد: «لديك غلام رائع أيها الصياد! أهو ابنك؟». فأجاب: «هو ابني وليس ابني. فقبل عشرين عاماً كان يعوم وهو طفل رضيع على النهر بسلة، فأخذناه ورعيناه».

شعر الملك وكأن غشاوة غطت عينيه، وشحب حتى صار لونه بلون جدار أبيض، مدركاً أن هذا الشاب ليس سوى الطفل الذي أمر بإغراقه. لكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه، ونزل عن جواده وقال: «أريد رسولاً إلى قصري، فليس عندي أحد، فهل بالإمكان أن يذهب هذا الشاب إلى هناك من أجلي؟».

Twitter: @ketab_n

فقال الصياد: «ما على جلالتكم إلاّ أن تأمروا فيذهب الشاب».

جلس الملك وكتب رسالة إلى زوجته الملكة: «عالجي هذا الشاب الذي أرسل إليك معه رسالتي هذه بالسيف حالاً، فهو عدو خطر لي. وافعلي هذا قبل عودتي. وهذه إرادتي».

ثم طوى الرسالة، وأحكم إغلاقها وختمها بختمه.

انطلق «عائم» من فوره حاملاً الرسالة. وكان عليه أن يمر بغابة كبيرة، لكنه أضاع الدرب وضل الطريق. وصار يمضي من أجمة إلى أجمة حتى بدأ الجو يزداد عتمة. عندها التقى ساحرة عجوز فقالت له: «إلى أين تذهب يا عائم؟».

فأجابها: «أنا ذاهب برسالة إلى قصر الملك، وأضعت طريقي. فهلا دللتني، أيتها الأم، على طريق الخروج؟».

فقالت له العجوز الساحرة: «بكل الأحوال لن تخرج الآن وحالاً، فالظلام يعم الغابة. ابق الليل معي. ولن تكون مع شخص غريب. فأنا جدتك».

Twitter: @ketab_n

فسمح الشاب لنفسه بأن يقتنع، و لم يمش الاثنان خطوات كثيرة حتى شاهدا قبالتهما بيتاً صغيراً جميلاً، وكأنه ظهر من فوره على الأرض. في الليل، وعندما كان الشاب نائماً، أخرجت الساحرة الرسالة من جيبه ووضعت أخرى مكانها، مكتوباً بها: «أكرمي هذا الشاب الذي أرسل إليك معه رسالتي هذه بتزويجه ابنتنا في الحال، فهو صهري المقدَّر لي. ونفذي ذلك قبل عودتي. هذه إرادتي».

عندما قرأت الملكة الرسالة، أمرت في الحال بإجراء ترتيبات الزواج، و لم تكن هي ولا الأميرة الشابة تقدران على النظر ملياً بالعريس، لفرط سعادتهن به، وكان «عائم» فرحاً أيضاً بعروسه الملكية. وبعد مرور بضعة أيام، عاد الملك إلى دياره، وعندما رأى ما حدث، سخط سخطاً عنيفاً على زوجته الملكة لما فعلته. فردت عليه الملكة: «على أي حال، أنت بنفسك أمرتني أن أزوجه ابنتنا قبل عودتك». وأعطته الرسالة. تناول الملك الرسالة ونظر فيها ـ الكتابة، الختم، الورق، كل شيء كان عائداً له. دعا بصهره، وراح يسأله عما حدث في طريقه إلى القصر.

قصّ عليه «عائم» كيف انطلق برحلته وكيف تاه عن طريقه في الغابة، وبات الليل عند جدته. فسأله الملك «كيف بدت؟»، وماذا كذا وماذا كذا. ففهم الملك من خلال كلامه أنها نفسها تلك

Twitter: @ketab_n

التي اختارت ابنته قبل عشرين عاماً، زوجة لابن الفحّام. ففكّر وفكّر، ثم قال: «ما صار لا يمكن تغييره، لكن يبقى أنك لا يمكن أن تكون صهري هكذا بلا شيء. إذا كنت تريد ابنتي، عليك أن تجلب لي مَهْرَ الجد آلنو ذي الشعرات الذهبية الثلاث». وكان يظن في قرارة نفسه انه بذلك سيتخلص من صهره الذي يبغضه.

ركب عائم على فرسه ومضى ـ لكن أي طريق يسلك والى أي مكان يتجه؟ لا أعرف، لكن ما دام «قَدَر» كانت جدته، فمن السهل عليه العثور على الطريق الصحيح. فسار في طول البلاد وعرضها، عَبرَ تلالاً ووديان، ومستنقعات وأنهاراً، حتى وصل إلى بحر اسود. وهناك رأى مركبا، وفيه مراكبي. فألقى عليه عائم السلام «حياك الرب أيها الشيخ المراكبي!» فرد المراكبي عليه: «سلمك الرب أيها الزائر الشاب! إلى أين وجهتك؟» فأجابه عائم: «إلى الجد آلنو، من أجل الشعرات الذهبية الثلاث». فقال المراكبي: «هوه، هوه! انتظرت وقتاً طويلا هذا الرسول. منذ عشرين عاماً وأنا أتنقل هنا، و لم يأت أحد ليحررني. فإذا وعدتني أن تسأل الجد آلنو متى ينتهي عملي، سأخذك بالمركب إلى ما تريد».

فوعده «عائم» بذلك، فأركبه المراكبي وأخذه عبر البحر.

بعد ذلك وصل إلى مدينة كبيرة، لكنها كانت متهالكة حزينة.

Twitter: @ketab_n

وقبالة المدينة، التقى شيخاً كبيراً، بيده عصا يتوكأ عليها، يكاد لا يقوى على نقل خطاه. فألقى «عائم» عليه التحية: «حياك الرب أيها الجد الكبير!».

فرد الشيخ الكبير عليه: «سلمك الرب أيها الشاب الوسيم! إلى أين وجهتك؟».

فقال: «إلى الجد آلنو، من أجل الشعرات الذهبية الثلاث».

فقال الشيخ الكبير: «ها، ها! كنا ننتظر من زمن طويل هذا الرسول، عليَّ أن أخذك حالا إلى سيدنا الملك».

وعندما وصلوا إلى الملك، قال: «سمعت أنك ذاهب بمهمة إلى الجد آلنو. لدينا شجرة تفاح هنا تعطي تفاحاً يعيد الشباب. فإذا أكل أي أحد منها وكان على حافة القبر، سيعود شاباً مرة أخرى. لكن في السنوات العشرين الأخيرة لم تعد شجرتنا تثمر الة. وإذا وعدتني بسؤال الجد آلنو عما إذا هناك مساعدة لنا، فسأكافئك مكافأة سخيّة».

فوعده «عائم» بذلك. وأذن له الملك بالانصراف مكرّماً.

بعد ذلك جاء ثانية إلى مدينة كبيرة أخرى، كان نصفها خَرباً.

Twitter: @ketab_n

وفي مكان لا يبعد عن المدينة، كان هناك ولد يدفن أباه المتوفى، ويبكي بدموع كأنها حبات بازلاء تسيل على خده. فقال «عائم» له: «حياك الرب يا حفار القبر الحزين!».

فرد عليه الابن: «سلمك الرب أيها الزائر الطيب! إلى أين وجهتك؟».

فأجابه: «أنا ماض إلى الجد آلنو، من أجل الشعرات الذهبية الثلاث».

فقال الابن: «إلى الجد آلنو؟ لكم أرثي أن مجيئك لم يكن قبل هذا! لكن ملكنا كان ينتظر منذ زمن طويل مجيء هذا الرسول، عليَّ أن اصطحبك إليه».

وعندما وصلا، قال الملك: «سمعت أنك ذاهب بمهمة إلى الجد آلنو. لدينا بئر هنا كان ينبثق منه ماء الحياة، ولو شرب منه أي أحد، حتى لو كان في نزاع الموت، لعاد سالماً معافى في الحال، بل لو مات وكان جثة هامدة، ورُشَّ من هذا الماء عليه، لقام حياً من فوره ومشى على رجليه. لكن منذ عشرين سنة، توقف الماء عن التدفق. ولو وعدتني بسؤال الجد آلنو عما إذا هناك مساعدة لنا، فسوف أجزيك بمكافأة سخيّة».

Twitter: @ketab_n

فوعده «عائم»، وأذن له الملك بالانصراف مكرّماً.

بعد ذلك، ذهب بعيدا في الأصقاع ومرّ بغابة سوداء، وفي وسط تلك الغابة لمح مُرجاً اخضر واسعاً يمتلئ بورود جميلة، وفي وسط المرج قصر ذهبي. كان ذلك قصر الجد آلنو، وكان يتألق وكأنه من نار. دلف «عائم» إلى القصر، لكنه لم يجد أحداً فيه سوى ساحرة عجوز تغزل وهي جالسة في إحدى زواياه. فرحبت به: «أهلا بك يا عائم. كم أنا سعيدة برؤيتك ثانية».

فقد كانت جدته، التي قضى الليلة في بيتها عندما كان يحمل الرسالة. سألته: «ما الذي جاء بك إلى هنا؟».

فأجابها: «الملك لا يريدني صهراً له من أجل لا شيء، لذا فقد أرسلني للبحث عن شعرات الجد آلنو الثلاث».

تبسّمت الساحرة وقالت له: «الجد آلنو يا ابني هو الشمس المنيرة، في الصباح هو شاب صغير، وفي الظهيرة رجل ناضج، وعند المساء جد كبير. سوف أعطيك الشعرات الذهبية الثلاث من رأسه الذهبي، وإلاّ لستُ جدتك من أجل لا شيء. لكن يا ولدي! لا يمكنك البقاء حيثما أنت. لا شك أن لابني نفساً طيبة، لكن عندما يأتي إلى البيت جائعاً في المساء، قد يحدث بسهولة أن يشويك ويأكلك على العشاء. لذا هناك طشت فارغ، سأغطيك به».

Twitter: @ketab_n

وهنا التمس «عائم» منها سؤال الجد آلنو عن الأشياء الثلاثة التي كان قد وعد بالإتيان بإجابات عنها عندما كان في طريقه إلى هنا. فقالت الساحرة: «سوف أسأله. وعليك الانتباه إلى ما يقوله».

وحدث أن هبت ريح بسرعة في خارج القصر وداخله ودخلت الشمس، التي ظهرت شيخاً كبيراً رأسه ذهبي، من النافذة الغربية في الغرفة. وما إن دخل حتى قال: «أشمّ رائحة لحم بشري! هل عندك أحد يا أمي؟».

فأجابته: «يا كوكب النهار! مَنْ هذا الذي استقبله هنا من دون أن أريك إياه؟ لكن هذا لأنك طوال النهار تحلق في دنيا الرب، ويمتلئ أنفك برائحة لحم البشر، لذا فلا عجب أنك تظلّ تشمّ هذه الرائحة عندما تعود إلى البيت في المساء».

لم يرد الشيخ عليها، وجلس يتناول عشاءه.

بعد العشاء، وضع رأسه الذهبي في حضن الساحرة ونام. وحالما رأته يغطّ في نوم عميق، سحبت شعرة ذهبية ورمتها على الأرض. فرنّت مثل وتر قيثار. فقال الشيخ: «ماذا تريدين يا أمي؟».

فقالت له: «لا شيء يا بني، لا شيء! لقد نمت وحلمت حلماً رائعاً».

فقال لها: «بمَ حلمت؟».

Twitter: @ketab_n

فأجابته: «حلمت بمدينة، ينبثق لأهلها ماء حياة، وكان أي مريض يشرب منه يستعيد عافيته، ولو مات ورشّوا عليه من هذا الماء، عاد إلى الحياة ثانية. لكن منذ عشرين سنة توقف الماء عن التدفق، فهل من مساعدة كي يتدفق من جديد؟». فأجابها: «هذا أمر يسير! هناك ضفدع جالس على النبع في البئر يحبس تدفق الماء. فليقتلوا الضفدع وينظفوا البئر، وسيتدفق الماء كما كان من قبل».

وعندما داهم النعاس الشيخ مرة أخرى، سحبت الساحرة شعرة ذهبية ثانية ورمتها على الأرض. فقال لها: «ما الذي يزعجك ثانية يا أمي؟».

فردت عليه: «لا شيء يا ولدي، لا شيء، نمت ورأيت مرة أخرى حلماً عجيباً. إذ رأيت مدينة لدى أهلها شجرة تفاح ثمارها تعيد الشباب، فعندما يصير المرء عجوزاً ويأكل منها تفاحة يسترد شبابه. لكن خلال السنين العشرين الأخيرة لم تعد الشجرة تحمل ثماراً، فهل من مساعدة؟».

فقال الشيخ: «هذا شيء يسير، فتحت الشجرة يقبع ثعبان ينهك قواها، فليقتلوا الثعبان ويعيدوا زراعة شجرة التفاح مرة أخرى، وسوف تثمر كما كانت من قبل». وشعر الشيخ بالنعاس ثانية، وسحبت الساحرة شعرة ذهبية ثالثة. فقال بانزعاج وأراد أن ينهض: «لماذا لا تدعيني أنام، يا أمي؟».

Twitter: @ketab_n

فقالت له: «ابق ممدداً، يا بني، ابق ممدداً! لا تغضب، لم أرد إيقاظك. لكن نوماً ثقيلاً داهمني، وحلمت حلماً عجيباً آخر. إذ حلمت بمراكبي في بحر أسود، منذ عشرين سنة وهو يتنقل فيه، وما من أحد جاء ليحرره من ذلك. فمتى سينتهي عمله هذا؟».

فقال الشيخ «هذا ولد غبي يا أمي. دعيه يعطي المجذاف إلى يد شخص ويقفز إلى الشاطئ، وسوف يكون هذا الآخر مراكبياً بدلاً منه. لكن الآن دعيني في هدوء، عليَّ الاستيقاظ باكرا غداً والذهاب لتجفيف دموع ابنة الملك التي تذرفها كل ليلة على زوجها، ابن الفحّام، الذي كان الملك قد أرسله من أجل شعرات ذهبية ثلاث يأخذها مني».

في الصباح هبّت ريح مرة أخرى في الخارج، ومن حجْر أمه استيقظ، لم يكن شيخاً، بل فتى جميلا ذهبي الشعر، الشمس الإلهية، حيّا والدته مودعاً وطار خارجاً من نافذة الشرق.

رفعت الساحرة الطشت وقالت لعائم: «هناك ثلاث شعرات ذهبية لك، وتعرف أيضاً ماذا أجاب الجد آلنو عن تلك الأشياء الثلاثة. اذهب في طريقك، وداعاً! لن تراني مرة أخرى، فلا حاجة لذلك».

شكر «عائم» الساحرة بامتنان كبير، ورحل.

عندما وصل إلى المدينة الأولى، سأله ملكها عما لديه من أخبار.

Twitter: @ketab_n

فقال «عائم»: «أخبار طيبة! نظفوا البئر، واقتلوا الضفدع الجالس على النبع، وسوف يتدفق الماء كما كان في سابق عهده».

ففعل الملك ذلك من دون تأخير، وعندما رأى الماء يبقبق ويندفع متدفقاً، أهدى «عائم» اثنتيْ عشرة فرساً، وعليها ما تستطيع حمله من ذهب وفضة.

وعندما جاء إلى المدينة الثانية، سأله الملك عن الأخبار التي يحملها. فقال «عائم»: «أخبار طيبة! اقلعوا شجرة التفاح، وستجدون ثعباناً تحت جذورها، اقتلوه، ثم ازرعوا شجرة التفاح ثانية، وستثمر كما كانت في سابق عهدها».

ففعل الملك هذا من فوره، وخلال الليل اكتست شجرة التفاح بالأثمار، كما لو أن ورداً نُثر عليها. فابتهج الملك لذلك، وأهدى عائم اثنتي عشرة فرساً سوداً كالغربان، وعليها من الثروة ما تستطيع حمله.

وارتحل «عائم» في طريقه، وعندما وصل إلى البحر الأسود، سأله المراكبي عما إذا عرف متى يتحرر. فأجابه «عائم»: «لقد عرفت. لكن انقلني أولاً وسوف أخبرك».

اعترض المراكبي في البداية، لكنه عندما رأى أن ليس هناك

Twitter: @ketab_n

شيئاً آخر يفعله، نقله هو وخيوله. فقال له عائم: «قبل أن تنقل أي أحد آخر مرة أخرى، ضع المجذاف بيده واقفز إلى الشاطئ، وسوف يكون هو المراكبي بدلاً منك».

لم يصدق الملك عيناه عندما جاء إليه «عائم» بالشعرات الذهبية الثلاث من الجد آلنو، وبكت ابنته، ليس حزناً، بل من فرحها لعودته. وسأله الملك: «لكن من أين حصلت على هذه الخيول البديعة وهذه الثروة الكبيرة؟».

فأجابه: «لقد كسبتها»، وراح يقص عليه كيف أنه ساعد أحد الملوك في استرجاع شجرة التفاح التي تعيد الشباب، وساعد ملكاً آخر باستعادة ماء الحياة، الذي يعيد للمرضى عافيتهم وللموتى حياتهم. وكان الملك يكرر في نفسه ببطء: «تفاح يعيد الشباب! ماء حياة! لو أكلت تفاحة لصرت شاباً من جديد، وإذا مت عادت لي الحياة بذلك الماء».

فقام من فوره وانطلق بطريقه سعياً وراء تفاح الشباب وماء الحياة ـ و لم يعد منذ ذلك الحين.

وهكذا صار ابن الفحّام صهراً للملك، كما قرّر القدر، أما الملك فربما قضى قدره بأن إلى الآن مراكبي ينقل الناس عبر البحر الأسود.

Twitter: @ketab_n

ذهبية الشعر

في سالف الأزمان كان ثمة ملك ذكي للغاية حتى إنه كان يفهم منطق الطيور كلها، ويعرف ما تقول لبعضها بعض. دعونا نسمع كيف تعلم ذلك: حدث ذات مرة أن جاءته امرأة عجوز ضئيلة جالبة معها سمكة كبيرة تشبه الثعبان في سلّة، وأخبرته بأن عليه طبخها، فإذا هو تعشى بها، فسيفهم ما يقوله أي حيوان كان في الجو، وعلى الأرض، وفي الماء. فأعجب الملك بفكرة فهم ما لا يفهمه أي أحد آخر، وأجزل العطاء للعجوز، وأمر خادمه على الفور بطبخ السمكة للعشاء. وقال له: «لكن إياك أن تتناول لقمة منه حتى ولو لعقة بلسانك، وإلاّ فستدفع رأسك ثمناً لذلك».

رأى جورج، الخادم، أن من الغريب أن يحرم عليه الملك فعل ذلك تحريماً شديداً. وقال في نفسه: «لم أر في حياتي قطّ سمكة كهذه، فهي كأنها ثعبان! وأي طباخ هذا الذي لا يتذوق ما يطبخه؟».

Twitter: @ketab_n

ولمّا طبخها، ذاق منها لقمة. وسمع من فوره شيئاً يئز حول أذنيه: «أعطنا أيضاً شيئاً منه! أعطنا أيضاً شيئاً منه!» نظر جورج حوله، و لم ير شيئاً سوى بعض الذباب يتطاير في المطبخ. ومرة أخرى نادى أحد ما بهسهسة خارجاً في الشارع «إلى أين تذهبون؟ إلى أين تذهبون؟» فأجابت أصوات حادة: «إلى شعير الطحان! إلى شعير الطحان!».

اختلس جورج النظر عبر النافذة، ورأى ذكر إوز وقطيع إوز. فقال جورج: «آها! هذا هو فعل هذا النوع من السمك».

وعرف جورج الآن ما كان ذلك. ووضع لقمة أخرى بسرعة في فمه، وحمل الثعبان إلى الملك وكأن شيئاً لم يكن.

وبعد تناوله العشاء، أمر الملك جورج بسرج الخيول ومرافقته لأنه كان راغباً بالقيام برحلة. وسار الملك وجورج وراءه. وبينما كانوا يمرون فوق مرج أخضر، وثب حصان جورج وأخذ يصهل: «هوه! هوه! يا أخي. أشعر أني خفيف إلى درجة أني أود القفز على الجبال!».

فقال الآخر: «كذلك الأمر بالنسبة لي، أود القفز حولها أيضاً، لكن على ظهري رجل عجوز، ولو قفزت لسقط على الأرض مثل كيس وانكسرت عنقه».

Twitter: @ketab_n

فقال حصان جورج: «دعها تنكسر، ما المشكلة؟ فبدلاً من رجل عجوز ستحمل على ظهرك شابا».

ضحك جورج من كل قلبه من هذا الحديث، لكن بهدوء تام حتى لا ينتبه الملك إلى أي شيء. بيد أن الملك فهم أيضاً تماماً ما قاله الحصانان، فنظر حوله، ولمح ابتسامة في وجه جورج، فسأله من أي شيء كان يضحك. فقال جورج بنبرة اعتذار: «لا شيء جلالة الملك، خطر في بالي شيء وحسب».

لكن الملك العجوز قد شك في ذلك أصلاً، ثم أنه لم يشعر بالثقة في خيله، لذا عاد أدراجه متوجها إلى الديار.

عندما وصلا إلى القصر، أمر الملك جورج أن يصب له كأساً من النبيذ، وقال له «لكن رأسك مقابله إنْ لم تملأه، أو إنْ صببته حتى فاض».

أخذ جورج المصفق[1] وراح يصب النبيذ. عندئذ حلق عصفوران عبر النافذة، كان أحدهما يطارد الآخر، وكان الذي يحاول الفرار حاملاً ثلاث شعرات ذهبية بمنقاره. وكان الأول يقول «أعطنيها»، فيجيبه الثاني: «لن أفعل، إنها لي، أنا الذي أخذها».

(1) المصفق: إناء يصب منه الخمر على مائدة الطعام (م).

Twitter: @ketab_n

لكن الأول قال له: «أنا الذي رآها تسقط، عندما كانت العذراء الشقراء تمشط شعرها. على كل، أعطني اثنين».

فهجم عليه العصفور الآخر وهو ممسك بالشعرات الذهبية وقال له: «ولا واحدة!» .وبينما هما يتعاركان عليها بأجنحتهما، بقيت شعرة واحدة في منقار كل واحد منها، وسقطت الثالثة على الأرض محدثة رنة. في هذه اللحظة التفت جورج نحوها، فسكب الشراب. فزمجر الملك: «فقدت حياتك! لكني سأرأف بك إنْ أنت وجدت العذراء ذهبية الشعر وجئت بها إليَّ زوجة».

ما كان جورج سيفعل؟ فإذا أراد إنقاذ حياته، عليه الذهاب بحثاً عن العذراء، مع أنه لا يعرف أين سيجدها. بيد أنه سرج جواده وسار على غير هدى. ووصل إلى غابة سوداء، وهناك، في ظل الغابة على جانب الطريق، كانت أجمة تحترق، إذ أشعل النار فيها راعي بقر. وكان تحت الأجمة كثيب نمل، وكان الشرر يتساقط عليه، وكان النمل يفر في كل الاتجاهات حاملاً بيوضه الصغيرة. كان النمل يصرخ بحزن: «ساعدنا يا جورج ساعدنا! إننا نحترق حتى الموت ومعنا صغارنا في البيض».

Twitter: @ketab_n

فنزل عن فرسه في الحال، واندفع إلى الأجمة وأخمد النار. فقال له النمل: «إنْ واجهك مأزق فكّر فينا، وسنساعدك».

سار في طريقه عبر الغابة، ووصل إلى شجرة صنوبر باسقة. وعلى قمة الشجرة كان هناك عش غراب أسود، وتحت على الأرض، كان هناك غرابان صغيران يبكيان ويشتكيان: «طار أبونا وأمنا بعيداً، وكان علينا الحصول على طعام لنا، ونحن طائران صغيران ضعيفان لا نستطيع الطيران بعد. ساعدنا يا جورج ساعدنا! أطعمنا، وإلاّ متنا جوعاً!».

لم يتوقف جورج ليفكر، بل قفز عن حصانه، وغرز سيفه بخاصرته وأخرج منها لحماً قدّمه للغرابين اللذين أخذا يأكلان ويقولان له: «إنْ احتجت إلى شيء، فكّر فينا، وسوف نساعدك».

بعد ذلك، كان على جورج السير على قدميه. ومشى طويلاً جداً في الغابة، وعندما خرج منها في نهاية المطاف، شاهد بحراً كبيراً واسعاً أمامه. وعلى شاطئ هذا البحر كان صيّادان يتشاجران. فقد اصطادا سمكة ذهبية كبيرة بشبكتهما، وكل واحد منهما يريد أخذها لنفسه. كان الأول يقول: «الشبكة شبكتي، والسمكة لي». فيرد الآخر: «ما كان نفع شبكتك وفائدتها من دون قاربي ومساعدتي».

Twitter: @ketab_n

فانبرى الأول قائلاً: «إنْ امسكنا بسمكة أخرى ثانية، فستكون من حصتك».

فقال الآخر: «كلا، انتظر أنت للمرة القادمة، وأعطني هذه الآن».

وهنا قال جورج: «سأحل أنا لكما الموضوع من أصله، بيعاني السمكة ـ وسأدفع لكم مبلغاً جيداً ـ وتقاسما المال بينكما، لكل واحد حصة مثل الآخر».

وأعطاهما المال كله الذي كان الملك قد أعطاه إياه من أجل رحلته، ولم يترك لنفسه شيئاً يذكر. اغتبط الصيادان، وترك السمكة تأخذ ثانية طريقها في البحر. وانزلقت في الماء بجذل، وغطست، وحين ابتعدت عن الشاطئ، أخرجت رأسها وقالت: «عندما تريدني يا جورج، فكّر فيّ وسوف أكافئك». ثم توارت.

وسأل الصيّادان جورج: «إلى أين أنت ماض؟».

فأجاب: «أنا ذاهب بحثاً عن العذراء ذهبية الشعر لكي آتي بها عروساً لسيدي الملك، مع أني لا أعرف أين أجدها».

Twitter: @ketab_n

فقال الصيّادان: «نحن نخبرك كل شيء عنها».

وراحا يقولان عنها: «إنها ذهبية الشعر، ابنة الملك في قصر البلور، في الجزيرة البعيدة هناك. تمشط شعرها الذهبي كل يوم مع الفجر، فينطلق شعاع نور في السماء وعلى البحار. فإذا شئت أخذناك إلى الجزيرة بأنفسنا، على حسن صنيعك بنا. لكن عليك الانتباه إلى أي عذراء تريد، فهناك اثنتا عشرة واحدة، إلاّ أن واحدة منهن فقط شعرها ذهبي».

عندما وصل جورج إلى الجزيرة، توجه إلى قصر البلور ليتوسل إلى الملك أن يهب ابنته ذهبية الشعر زوجة للملك، سيده. فقال الملك: «سأفعل. لكن كي تفوز بها، عليك في ثلاثة أيام إنجاز ثلاث مهام، سأفرضها عليك، كل يوم مهمة. في هذه الأثناء بمقدورك أن ترتاح حتى الغد».

وفي اليوم التالي، باكراً، قال الملك له: «كانت تملك ابنتي ذهبية الشعر عُقْداً من لؤلؤ ثمين، وانكسر العُقد، فتناثر على عشب طويل في المرج الأخضر. عليك لمّ تلك اللآلئ كلها ولا تنقص واحدة منها».

Twitter: @ketab_n

مضى جورج إلى المرج، فوجده واسعاً طويل العشب، جثا على العشب، وبدأ البحث. وانهمك يبحث ويبحث من الفجر حتى الظهر، لكنه لم ير لؤلؤة واحدة. فقال: «آه! لو كان نملي هنا، لساعدني».

فرد عليه النمل: «نحن هنا لنساعدك»، وراح يجري حوله من كل صوب. وسألنه: «قل ماذا تريد؟».

فأجابهن: «عليَّ جمع لآلئ من هذا المرج، لكني لا أرى أي واحدة».

فقلن له: «ما عليك سوى الانتظار قليلاً، وسنجمعها لك».

و لم يمض وقت طويل حتى جلبن له لآلئ كثيرة من بين العشب، و لم يكن هو يفعل شيئاً غير إدخالهن بخيط العُقْد. وبعد ذلك، عندما كان يهم بربط العُقْد، خرجت إليه نملة تعرج ـ فقد أصيبت رجلها عندما شبت النار على كثيب النمل في الغابة ـ وصاحت به: «توقف يا جورج، لا تتعجل، جئتك بلؤلؤة أخرى».

حينما جلب جورج اللآلئ للملك، نظر إليه هذا بعين التقدير، فلم يكن العُقْد ينقص واحدة. فقال له: «أديت عملك بإتقان، غداً سأكلفك بمهمة أخرى».

Twitter: @ketab_n

في الصباح جاء جورج، وقال له الملك: «ابنتي ذهبية الشعر كانت تسبح في البحر، وأضاعت فيه خاتماً ذهبياً، عليك العثور عليه وجلبه لنا».

ذهب جورج إلى البحر، وراح يمشي مغتمّاً على طول الشاطئ. كان البحر رائقاً، لكن من شدة عمقه لم يكن بمقدور جورج رؤية قاعه، فكيف يمكنه البحث عن الخاتم فضلاً عن العثور عليه في البحر.

وهنا قال جورج: «آه لو كانت سمكتي الذهبية هنا، لتمكنت من مساعدتي».

عندئذ التمع شيء في البحر، وارتفعت السمكة الذهبية من أعماق البحر إلى سطح الماء: «أنا هنا لأساعدك، قل ماذا تريد؟».

فقال جورج: «عليَّ العثور على خاتم ذهبي ضاع في البحر، وليس بمستطاعي رؤية الأعماق».

فقالت له: «لقد سبق أن قابلت سمكة كراكي[1] تحمل خاتماً ذهبياً بفمها. انتظر قليلاً، وسوف آتيك به».

(1) سمكة طويلة مفترسة، لديها أسنان طويلة تعيش في المياه النهرية (م).

Twitter: @ketab_n

وسرعان ما عادت إلى أعماق الماء، وبعد مدّة ارتفعت ثانية وبصحبتها سمكة الكراكي والخاتم.

أثنى الملك على جورج لإتقانه، ومن ثم أوكل له في الصباح التالي مهمة ثالثة: «إذا كنت تريد مني إعطاء ملكك ابنتي ذهبية الشعر زوجة له، عليك أن تجلب لها مياه الموت والحياة ـ فسوف تحتاجه إليها».

لم يكن جورج يعرف أين يذهب بحثاً عن هذه المياه، فراح يتنقل على غير هدى هنا وهناك، كيفما كانت خطاه تقوده، حتى جاء إلى الغابة السوداء: «آه، لو كان غراباي الصغيران هنا، لربما ساعداني».

فسمع خفق أجنحة فوق رأسه، وظهر الغرابان الصغيران فوقه: «نحن هنا لمساعدتك، بماذا ترغب؟».

فقال جورج لهما: «عليَّ جلب مياه الموت والحياة، ولا أدري أين أجدها».

فقالا له: «أوه، نعرفها حق المعرفة، انتظر قليلاً، وسوف نأتيك بها».

Twitter: @ketab_n

بعد وقت قصير، جلب كلاهما إلى جورج كوزين من القَرَع مليئين بالماء، واحد بماء الحياة، والآخر بماء الموت. سُرَّ جورج بحظه السعيد، وسارع إلى القلعة. وعلى أطراف الغابة، رأى بيت عنكبوت يمتد من شجرة صنوبر إلى أخرى، وفي وسط بيت العنكبوت يجلس عنكبوت ضخم يمتص ذبابة. فأخذ جورج قنينة ماء الموت، ورش منها على العنكبوت، فسقط العنكبوت على الأرض مثل كرزة يانعة، ومات. ثم رش الذبابة بماء الحياة من القنينة الأخرى، فبدأت الذبابة تتحرك، وخلصت نفسها من بيت العنكبوت، وطارت في الهواء قائلة: «يا لسعادتي بك يا جورج لردك إياي إلى الحياة مرة أخرى»، وراحت تطن حول أذنيه: «من دوني ربما لن تتمكن من أن تميّز بدقة ذهبية الشعر من بين الفتيات الاثنتي عشرة».

عندما رأى الملك جورج وقد أتم هذا الأمر أيضاً، قال إنه ينوي إعطاءه ابنته ذهبية الشعر «لكن عليك اختيارها بنفسك».

ثم اصطحبه إلى صالة كبيرة، في وسطها مائدة مستديرة، وحول المائدة جلست اثنتا عشرة فتاة جميلة، تشبه إحداهن الأخرى، لكن على شعر كل واحدة منهن وشاحاً ينزل إلى الأرض، أبيض كالثلج حتى لا يمكن بأي حال من الأحوال رؤية شعورهن.

Twitter: @ketab_n

فقال الملك: «هؤلاء بناتي، فإذا حزرت من هي صاحبة الشعر الذهبي، ستكون لك، وبمقدورك أخذها في الحال، لكن إذا لم تتمكن من أن تحزر بالنحو الصحيح، لن تكون لك، وعليك الرحيل من دونها».

فانتاب جورج قلق كبير، فهو لا يعرف ما العمل. وفي الحال همس شيء ما بإذنه: «بززز! بززز! دُر حول الطاولة، سأخبرك مَنْ هي».

كان ذلك صوت الذبابة التي ردَّها جورج إلى الحياة بماء الحياة. وقالت الذبابة له: «ليست هذه الفتاة ـ أو هذه ـ ولا هذه، هذه ذهبية الشعر!».

حينئذ صاح جورج: «أعطني ابنتك هذه»، وأردف «حصلت عليها لسيدي».

فرد الملك «حزرت صحيحاً»، وفي الحال نهضت الفتاة من الطاولة، وألقت بوشاحها، وانهمر شعرها الذهبي يجري من رأسها حتى الأرض، وكان النور يشع منه حتى كأنه نور الشمس وهي تشرق في الصباح، فانبهرت عينا جورج.

Twitter: @ketab_n

ثم أعطى الملك ابنته كل ما يلائم رحلتها، ومضى بها جورج لتكون عروساً لسيده.

جحظت عينا الملك المسنّ، وقفز من مكانه فرحاً لما رأى ذهبية الشعر، وأمر في الحال بإجراء الترتيبات للعرس. فقال لجورج: «كنت أنوي شنقك على عصيانك أوامري وأن أذيق الغربان لحمك، لكنك خدمتني حق الخدمة، وعليه فقط سأقطع رأسك بفأس، وبعدها أدفنك باحتفال مهيب».

وعندما أُعدِم جورج، التمست ذهبية الشعر من الملك العجوز أن يمنحها جسد خادمه الميت، وما كان بمقدور الملك أن يرد طلباً لعروسه ذهبية الشعر. وبعدها وضعت رأس جورج على جسده، ورشته بماء الموت، فالتحم الرأس بالجسد و لم يبق أي جرح. بعدها رشته بماء الحياة، فنهض جورج كأنه ولد من جديد، نشطاً كأيّل، يفيض الشباب من ملامحه.

عندها قال جورج وهو يفرك عينيه: «أوه، أي نوم ثقيل نمت!».

فردت عليه ذهبية الشعر: «نعم، في الواقع كنت تنام نوماً ثقيلاً، ولو لم يكن الماء معي، لما استيقظت أبد الدهر».

Twitter: @ketab_n

وعندما رأى الملك جورج وقد عاد إلى الحياة ثانية، وأنه صار أكثر شباباً ووسامة مما كان عليه قبلاً، أراد هو أيضاً أن يعود إلى الشباب. فأمر في الحال أن يقطع رأسه، ومن ثم يرش عليه الماء. فقطعوا رأسه ثم رشوا عليه من ماء الحياة، ورشوا عليه بكل طريقة، لكن رأسه لم يلتصق بجسده. بعدها، وليس قبلها، راحوا يرشون عليه من ماء الموت، وفي الحال التحم رأسه بجسده، لكنه بقي ميتاً، إذ لم يبق لديهم من ماء الحياة شيء ليحييه. وبما أن المملكة لا يمكن أن تبقى من دون ملك، وليس لدى أهلها أحد من الذكاء إلى درجة أنه يفهم لغة الحيوانات كلها مثل جورج، فقد قرروا تنصيبه ملكاً وذهبية الشعر ملكة.

Twitter: @ketab_n

الذكاء والحظ

في سالف الأزمان التقى الحظُ الذكاءَ على مقعد في حديقة. فقال الحظ: «أفسح لي مجالاً!».

و لم يكن للذكاء خبرة بعد، فلم يعرف مَنْ الذي يجب أن يفسح مجالاً للآخر. فقال: «لِمَ عليَّ إفساح المجال لك؟ لستَ أفضل مني».

فأجاب الحظ: «الأفضل بيننا هو مَنْ ينجز أعمالاً أكثر. أترى هناك ابن الفلاح الذي يحرث الحقل؟ ادخل فيه، فإذا صار أفضل حالاً مما لو كنت أنا فيه، لسوف أفسح لك دوماً المجال، أينما ألتقيك وحيثما ألتقيك».

وما إن شعر صاحب المحراث أن لديه ذكاء في رأسه، حتى صار يفكّر: «لِمَ يجب عليَّ السير وراء المحراث حتى الممات؟ بوسعي أن أذهب إلى مكان آخر وأن أجني ثروة بسهولة ويسر».

فتوقف عن الحرث، وطرح محراثه، وقفل راجعاً إلى البيت. فقال: «يا أبت، لا أحب حياة الفلاحين هذه، والأولى لي أن أكون بستانياً».

Twitter: @ketab_n

فقال أبوه: «ما الذي دهاك يا فانيك ؟ أفقدت رشدك؟».

على أي حال فكر الأب في دخيلته وقال لابنه: «حسن، إنْ أردت ذلك، تعلّم البستنة، وليكن الرب معك! وسوف يرث أخوك الكوخ من بعدي».

وهكذا خسر فانيك الكوخ، لكنه لم يهتم لذلك، بل ذهب وجعل نفسه صبياً يتعلم على يد بستاني الملك. كان أي شيء يعلمه البستاني له مهما كان ضئيلاً، يفهمه فانيك بنحو أكبر وأكثر. و لم يطل الوقت حتى كف عن الامتثال لأوامر البستاني في كيف ينبغي منه فعل أي شيء، بل راح يفعل كل شيء بطريقته. في بداية الأمر، غضب البستاني، لكن ما دام يرى كل شيء يسير بأفضل حال، فقد شعر بالرضا.

فقال البستاني: «أرى أنك تفوقني ذكاء»، ومنذ ذلك الحين ترك فانيك يعنى بالحديقة بالنحو الذي يراه مناسباً. وفي مدة ليست بالطويلة، جعل فانيك الحديقة جميلة إلى حد أبهج الملك، وصار يتمشى مراراً فيها بصحبة الملكة وابنته الوحيدة.

كانت الأميرة فتاة حسناء، لكن منذ أن كان عمرها اثنا عشر عاماً كفّت عن التكلم، و لم يسمع أي أحد مُذاك كلمة واحدة منها. واغتم الملك بسبب ذلك كثيراً حتى إنه أعلن في الأمصار أن أي أحد يستطيع إعادة ابنته إلى حالها السابق ويجعلها تتكلم، سيكون زوجاً

Twitter: @ketab_n

لها. فتقدم ملوك كُثُر وأمراء ونبلاء عديدون واحداً بعد آخر، لكن جميعهم ذهبوا كما جاءوا، فلم يفلح أحد منهم في إنطاقها.

وفكر فانيك: «لماذا لا أجرب أنا أيضاً حظي؟ مَنْ يعرف لربما أنجح في حملها على الإجابة عندما اسألها سؤالا؟».

وفي الحال قدم نفسه للقصر، واصطحبه الملك ومستشاروه إلى غرفة الأميرة. كان لدى ابنة الملك كلب صغير ظريف، وكانت مولعة به لأنه كان شديد الذكاء، ويفهم كل شيء تريده.

وعندما جاء فانيك إلى الغرفة برفقة الملك ومستشاريه، تظاهر وكأنه لم يرَ الأميرة، وانحنى إلى الكلب وقال: «أيها الكلب المدلل، سمعت أنك ذكي جداً، فجئت لأستشيرك. فقد كنا ثلاثة رفاق في سفر: نحات وخياط وأنا. وذات يوم كنا نعبر غابة وأجبرنا على قضاء الليل فيها. وكي نحمي أنفسنا من الذئاب، أوقدنا ناراً، واتفقنا على السهر لمراقبتها واحداً تلو الآخر. فراقبها النحات أولاً، وكي يسلي نفسه في إمضاء الوقت أخذ زند خشب ونحت فتاة منه. وعندما انتهت نوبته، أيقظ الخياط ليسهر عليها بدوره. رأى الخياط الفتاة الخشبية، وسأل عنها. فقال النحات: كما ترى، كنت ضجراً، و لم أكن أعرف ما أعمل وحدي، فنحتّ فتاة من زند خشب، فإن وجدت الوقت، بإمكانك إلباسها. فأخرج الخياط من فوره مقصه، وإبرته

Twitter: @ketab_n

وخيوطه، وقطع قماشاً، وشرع يخيط لها ملابسَ، وعندما جهزت ألبس الفتاة. ثم دعاني للسهر. سألته أنا أيضاً عن معنى تلك الأشياء كلها. فقال لي الخياط: كما ترى، وجد النحات الوقت يقيد يديه بشدة فنحت فتاة من زند خشب، وأنا للسبب نفسه ألبستها، وأنت لو وجدت الوقت يقيد يديك، فبإمكانك أن تعلمها الكلام».

«وبحلول الفجر كنت قد علمتها الكلام فعلاً. لكن عندما استيقظ رفاقي في الصباح، أراد كل واحد منهم أن يأخذ الفتاة لنفسه. فقد قال النحات: أنا صنعتها؛ والخياط: أنا ألبستها؛ وأنا أيضاً ذكرت حقي. لذا أخبرني، أيها الكلب المدلل، الفتاة ملك مَنْ منّا؟».

لم ينطق الكلب بكلمة، بل بدلاً من الكلب ردت الأميرة: «من يمتلكها غيرك أنت؟ فما نفع فتاة النحات بلا حياة؟ وما نفع ملابس الخياط بلا كلام؟ فأنت منحتها أفضل هدية، الحياة والكلام، لذلك هي ملكك بالحق».

فقال فانيك: «لقد قلت حكمك للتو. فأنا رددت لك الكلام ثانية وأعطيتك حياة جديدة، لذا فأنت بالحق ملكي».

عندها قال أحد مستشاري الملك: «سيجزل لك صاحب الجلالة جزيل العطاء على نجاحك في حل عقدة لسان ابنته، لكن لا يمكنك اتخاذها زوجة، لأنك من نسب وضيع».

Twitter: @ketab_n

وقال الملك: «أنت من نسب وضيع، سأجزل لك في العطاء عوضاً عن ابنتي». لكن فانيك لم يكن يريد الحديث عن أي عطاء، فقال: «لقد وعد الملك من دون أن يستثني أن أياً كان إذا قدر على جعل ابنته تتكلم ثانية فستكون زوجته. وكلمة الملك قانون، وإذا أراد الملك أن يحترم الآخرون قوانينه، فالأولى أن يبدأ بنفسه. لذلك ينبغي من الملك أن يعطيني ابنته».

فصاح المستشار: «اقبضوا عليه وشدوا وثاقه. كل مَنْ يقول أن على الملك أن يفعل كذا، إنما يهين جلالته، ويستحق الموت. فهلا نرجو من جلالتك أن تأمر بقتل هذا الشرير بالسيف؟».

فقال الملك: «اقتلوه».

فقيّد فانيك على الفور واقتيد للإعدام. وعندما وصلوا إلى مكان الإعدام، كان الحظ ينتظره هناك، فقال للذكاء سراً: «انظر كيف صار حال هذا الرجل بك، حتى إنه يكاد يفقد رأسه! فأفسح لي المجال، ودعني أخذ مكانك!». وما إن دخل الحظ في فانيك، حتى انكسر سيف الجلاد على السقالة، وكأن أحداً قطعه، وقبل أن يأتوا بسيف آخر، ظهر بوّاق على ظهر حصانه قادماً من المدينة، يعدو بسرعة طائر، فبوّق بفرح، ولوّح براية بيضاء، وجاء بعده الموكب الملكي من أجل فانيك. فقد كان هذا ما جرى: أخبرت الأميرة أباها

Twitter: @ketab_n

في البيت أن فانيك لم يفعل شيئاً سوى قول الحق، وأن كلمة الملك ينبغي ألاّ تُكسر. ولو كان فانيك من نسب وضيع، فمن اليسير على الملك أن يجعل منه أميراً. فقال الملك: «أنت على حق، دعونا نرفعه على مرتبة أمير!».

وأُرسل الموكب الملكي في الحال إلى فانيك، ووُضِعَ المستشار الذي أثار حنق الملك ضده في محله على المقصلة وأُعدم.

بعد ذاك، حينما كان فانيك والأميرة يمضيان سوية في موكب ليقيما عرسهما، حدث أنْ كان الذكاء في مكان ما على الطريق، ينظر أن مساعدته لا يمكن أن تتحدى الحظ، فأحنى رأسه وتنحى جانباً، كأن ماء بارداً صُبَّ عليه. وصار يقال منذ ذلك الحين إن الذكاء يفسح مجالاً واسعاً للحظ حيثما يراه.

Twitter: @ketab_n

جنيات الغابة

في يوم من الأيام كان هناك فتى يتيماً فقيراً، اضطر للذهاب للعمل في الخدمة ليكسب رزقه. وتنقل طويلاً من دون أن يتمكن من الحصول على عمل، حتى جاء يوم وصل فيه إلى كوخ حقير مرمي وحده تحت شجرة. وعلى عتبته يجلس شيخ كبير، في رأسه كهفان مظلمان بدلاً من عينين. كان الماعز يثغو في مرابطه، فقال الشيخ: «بودي أن آخذك، أيها الماعز المسكينة، إلى الكلأ، لكني لا أستطيع، فأنا أعمى، وليس لدي من أرسله معك».

فأجاب الصبي: «يا أبت، سأخذ ماعزك إلى الرعي، وسأكون سعيداً أيضاً بالبقاء معك».

فسأله الشيخ: «من أنت؟ وما اسمك؟».

فأخبره الصبي بكل شيء وبأن الناس يدعونه جوني.

Twitter: @ketab_n

فقال له الشيخ: «حسن يا جوني، سأقبلك عندي، لكن أولاً وقبل كل شيء خذ الماعز إلى الرعي. لكن لا تسر بها إلى التل البعيد في الغابة، إذ سيأتينك جنيات الغابة، وسيجعلنك تنام وبعدها يقتلعن عينيك مثلما فعلن بعيني».

فرد جوني: «لا تخف يا أبت، لن تقتلع جنيات الغابة عيني».

ثم أخرج الماعز من المربط، وساقها إلى المرعى. في اليومين الأول والثاني، رعاها في الغابة، لكن في اليوم الثالث قال لنفسه: «لِمَ عليَّ الخشية من جنيات الغابة؟ سأخذ الماعز إلى أفضل المراعي».

ثم عمد إلى قطع ثلاثة براعم من نبتة العُلَّيق، ووضعها في قبعته، وسار بالماعز مباشرة إلى التل في الغابة. وهناك ساح الماعز في المرعى، بينما جلس جوني على صخرة في مكان معتدل البرودة. و لم يمض على جلوسه وقت طويل، رأى على حين غرة، من دون أن يعلم كيف حدث ذلك، فتاة حسناء تجلس قبالته، ملابسها بيض، شعرها فاحم السواد مسرَّح بنحو جميل ينهمر على ظهرها، عيناها مثل البرقوق البري.

Twitter: @ketab_n

قالت الحسناء: «حياك الرب، يا راعي الماعز الشاب! أترى أي تفاح ينمو في بستاننا! هذه تفاحة لك، سأعطيك إياها، ولعلك لا تعرف كم هي لذيذة».

وقدمت له تفاحة جميلة حمراء. لكن جوني يعرف أنه إذا أخذ التفاحة وأكلها سيخرّ نائماً، وبعدها ستقتلع عيناه، لذلك قال لها: «أنا ممتن لك كثيراً، أيتها الآنسة الجميلة! فلدى سيدي شجرة تفاح في حديقته، لا تزال تطرح تفاحاً غاية في اللذة، وأكلت منها حتى شبعت».

فردت الفتاة عليه: «حسن، إنْ كنت لا تفضّل تفاحنا، فلن أجبرك» ثم مضت.

وبعد حين، جاءت فتاة أخرى، أجمل من سابقتها، تمسك وردة حمراء بيدها، وقالت له: «حياك الرب، يا راعي الماعز الشاب! أترى أي زهرة جميلة قطفتها لتوي من الحديقة. لكم عطرها شذي، شمّها بنفسك».

فقال الفتى: «أنا ممتن لك كثيراً، أيتها الآنسة الجميلة. ففي حديقة سيدي زهور بديعة، شممت منها حتى اكتفيت».

Twitter: @ketab_n

فقالت الفتاة «حسن، إنْ لم ترد شمّها، دعها»، وعادت أدراجها والحنق يملؤها.

وبعد حين جاءت فتاة ثالثة، أكثر نضرة وجمالاً من الأخريين، فسلمت عليه: «حياك الرب، يا راعي الماعز الشاب».

فرد عليها: «أشكرك أيتها الآنسة الجميلة!».

فقالت له: «الحق أنك شاب رائع، لكنك ستكون أكثر وسامة لو رُتِّب شعرك ومُشِّط بنحو لطيف. تعال، سأرتبه لك».

لم ينبس جوني ببنت شفة، لكن عندما اقتربت الفتاة منه لترتب شعره، نزع قبعته من على رأسه، وأخذ أغصان العُلَّيق منها، و... بُب! ضربها بكلتا يديها. فصرخت الفتاة: «النجدة، النجدة!»، وأخذت تبكي، لكنها كانت عاجزة عن التحرك من مكانها.

لم يكترث جوني البتة لبكائها، وقيَّد يديها معاً بأغصان العُلَّيق. عندها ظهرت الفتاتان الأخريان، وعندما رأتا أختهما مأسورة، رحن يتوسلن جوني كي يفك وثاقها ويدعها تمضي لحالها. فقال جوني: «أنتما فكّا وثاقها بنفسيكما».

Twitter: @ketab_n

فردتا عليه: «واحسرتاه! لا نقدر على ذلك، فأيدينا غضة، وستُجرح».

لكن حين رأتا الفتى لن يفعل ذلك كما يتمنين، مضتا إلى أختهن وأرادتا حلّ أغصان العُلّيق. وبرمشة عين قفز جوني، و... بُب! بُب! ضربهن بالأغصان، ثم قيّد أيديهما معاً.

«أترين، أمسكتُ بكن، يا جنيات الغابة الشريرات! لماذا اقتلعتن عينا سيدي؟».

بعد هذا، ذهب إلى سيده، وقال له: «تعال يا أبت، وجدت أحداً سيعيد إليك عينيك». وعندما وصلا إلى التل، قال لجنية الغابة الأولى: «الآن أخبريني أين مكان عيني هذا الشيخ. وان لم تخبريني، فسأرميك حالاً في الماء».

تحججت الجنية بأنها لا تعرف، فسار جوني ليلقيها في النهر، الذي يتدفق بقوة بجانب التل. فراحت الجنية تستعطفه: «لا تفعل يا جوني لا تفعل! ولسوف أعطيك عيني الشيخ».

وقادته إلى كهف فيه كومة من العيون، كبيرة وصغيرة، من سود وحمر وزرق وخضر، وتناولت من الكومة اثنتين. لكن

Twitter: @ketab_n

عندما وضعهما جوني في مَحْجري الشيخ، صار الرجل المسكين يصرخ «واحسرتاه، واحسرتاه! هاتان ليستا عيني. لا أرى شيئاً سوى البوم».

استشاط جوني غضباً، فأمسك بالجنية ورماها في النهر.

ثم قال للثانية: «أخبريني أنت عن مكان عيني الشيخ».

وراحت هذه أيضاً تتحجج بأنها لا تعرف مكانهما، لكن لمّا هددها الفتى برميها هي أيضاً في الماء، قادته ثانية إلى الكهف، وتناولت منه عينين أخريين. لكن الشيخ صرخ ثانية: «واحسرتاه! هاتان ليستا لي. لا أرى سوى البوم».

وحلّ بالجنية الثانية المصير نفسه الذي جرى على الأولى، وانغلق الماء عليها. وقال جوني لثالثتهن وأكثرهن نضرة: «أخبريني أنت أين عينا الشيخ».

وقادته هذه أيضاً إلى الكومة في الكهف، وتناولت منها عينين له. لكن عندما وضعتا في محجريه، صاح الرجل هذه المرة أيضاً بأنهما ليستا عينيه: «لا أرى شيئاً غير سمك كراكي».

Twitter: @ketab_n

ورأى جوني أن هذه أيضاً غشته، ومضى يغرقها مثل أختيها، لكن الجنية التمسته بدموع حرّى: «لا تفعل يا جوني لا تفعل! سأعطيك عيني الشيخ الصحيحتين». وأخرجت عينين من تحت الكومة الكبيرة. ولمّا وضعهما جوني في مَحْجَري الشيخ، صاح فرحاً: «هاتان، هاتان عيناي! الحمد لله! ها أنا الآن أرى كما السابق!».

وبعد ذلك عاش جوني والشيخ معاً بسعادة، وكان جوني يرعى الماعز، والشيخ يصنع الجبن في البيت، ويسرّان بتناوله معاً، أما الجنية فلم تظهر ثانية في التل.

Twitter: @ketab_n

سيدة الغابة

كانت «بيتي» فتاة صغيرة، وكانت أمها أرملة، ولم تكونا تملكان شيئاً سوى بيت خرب ومعزاتين، إلا أن «بيتي»، مع هذا، ظلت مرحة دائماً. وكانت ترعى المعزاتين من الربيع إلى الخريف في غابة البتولا[1]. وكلما خرجت من المنزل، تعطيها أمها دوماً سلة فيها أرغفة خبز ومِغزَل، وتوصيها «املأيها بالغزل».

ولأن ليس لديها فلكة مغزل، فقد اعتادت على لف خيوط الكتان حول رأسها. أخذت بيتي السلة، ووثبت فرحة تغني بجذل وهي تسير وراء معزاتيها إلى غابة البتولا. وعندما وصلت إلى هناك، ساحت المعزاتان في المرعى، وجلست «بيتي» تحت شجرة، وسحبت الألياف من على رأسها بيدها اليسرى، وتركت المغزل يتدلى من يدها اليمنى يدندن على الأرض، وراحت تغني والغابة تردد صدى غناها، فيما المعزاتان ترعيان.

(1) شجر نحيل صلب مقشّر الأغصان، عادة ما يكون لحاؤه فضياً مائلاً إلى الرمادي أو الأبيض، عروقها شاحبة وناعمة. عادة ما يشار إلى أغصانها بأنها تستخدم للـ«ضرب»(م).

Twitter: @ketab_n

وعندما أشارت الشمس إلى منتصف النهار، وضعت بيتي مغزلها جانباً، ونادت على معزاتيها، وبعد أن أعطت كل واحدة منهما قطعة خبز كي لا تتركهما تبتعدان عنها، سارت في الغابة لتجني بعض ثمار الفراولة أو أي ثمار من الغابة تنمو في ذلك الموسم كي تحّلي بها بعد تناولها الخبز.

وعندما أنهت غداءها، انطلقت مطوقة نفسها بيديها ترقص وتغني. كانت الشمس تتبسَّم لها عبر أوراق الأشجار الخضراء، وكانت المعزاتان اللتان تتقافزان بجذل بين الأعشاب، تقولان في نفسيهما: «كم هي مرحة راعيتنا».

وبعد أن ترقص، تبدأ تغزل بجد، ثم تسوق معزاتيها عائدة إلى البيت، و لم يحدث البتة أن أعادت مغزلها فارغاً ووبختها أمها على ذلك. وذات مرة، في منتصف النهار بالضبط، بعد تناولها غذائها المتقشف، قامت ترقص كما اعتادت أن تفعل، فرأت على حين غرة فتاة رائعة الحُسن ـ لا تعرف من أين جاءت وكيف جاءت ـ تجلس أمامها. كانت ترتدي ملابس بيضاً ناعمة كالحرير، شعرها الذهبي ينساب من رأسها حتى خصرها، وعلى رأسها إكليل من زهور الغابة.

Twitter: @ketab_n

عقدت الدهشة لسان «بيتي». تبسمت الفتاة لها، وقالت بصوت فاتن: «بيتي، هل أنت مولعة بالرقص؟».

عندما تحدثت الفتاة بلطف جم هكذا معها، تلاشى ذعر بيتي وأجابتها: «أوه، أحب الرقص طوال اليوم!».

فقالت الفتاة: «تعالي إذاً ودعينا نرقص سوية. سأعلِّمُكِ!».

قالت الفتاة هذه الكلمات وطوت ملابسها على جانبها، ووضعت يدها على خصر بيتي، وراحت ترقص معها. وفيما تدوران، صدحت موسيقى بالغة الروعة فوق رأسيهما، وطار قلب «بيتي» فرحاً. كان الموسيقيون يجلسون على أغصان أشجار البتولا يرتدون ملابس ملونة بالأسود والرمادي والبني، ومعاطف مرقّشة. وكانت مجموعة من صفوة الموسيقيين جاؤوا كلهم معا بإشارة من الفتاة الحسناء ـ عنادل، وقُبرات وطيور مغرِّدة وطيور الحَسُّون، وثمة طير غاية في البراعة يردد وراءهم.

اشتعلت خدود «بيتي» حمرة، وتألقت عيناها، فنسيت واجبها ومعزاتيها، وراحت تحدق منبهرة بشريكتها، التي أخذت تدور أمامها وحولها بحركات ساحرة وبرشاقة

Twitter: @ketab_n

بارعة إلى درجة أن العشب نفسه لا ينحني تحت أقدامها الرهيفة. رقصن من الظهيرة حتى العشي، و لم تتعب قدما «بيتي» و لم تؤلماها.

بعدها توقفت الحسناء، وكفّت الموسيقى، واختفت كما جاءت. بحثت «بيتي» عنها فلم تجدها وكانت الشمس تجلس وراء الغابة. ربتت رأسها بيديها، فشعرت بخيوط الكتان غير المغزولة، تذكرت أن مغزلها، الذي كان مرمياً على العشب، لم يكن بأي حال من الأحوال ممتلئ. فأنزلت الغزل عن رأسها، ووضعته مع المغزل في السلة، ونادت على معزاتيها، وساقتهما إلى البيت. و لم تغنِّ طوال الطريق، بل راحت تلوم نفسها بمرارة على ترك الفتاة الحسناء تخدعها، وقررت أنه إذا جاءتها الفتاة مرة أخرى، فلن تستمع البتة إلى أي شيء تقوله. أما المعزاتان، عندما لم تسمعا غناء مرحاً وراءهما هذه المرة، راحتا تنظران حولهما لتريا ما إذا كانت راعيتهما تتبعهما حقاً. وأمها، أيضاً، تعجبت، وسألت ابنتها عما إذا هي مريضة، وإلا لماذا لا تغني؟ فأجابتها «بيتي» معتذرة: «لا يا أمي، لست مريضة، لكن حلقي جاف جداً من كثرة الغناء، لذلك لا تجدينني أغني».

Twitter: @ketab_n

ثم ذهبت تطرح مغزلها وخيوط الكتان غير المغزولة. ولأنها كانت تعرف أن أمها لم تعتد على كشف الغزل في الحال، نوت أن تفعل في اليوم اللاحق ما أهملته في اليوم الأول، لهذا لم تقل كلمة واحدة لأمها عن الفتاة الحسناء.

في اليوم اللاحق، ساقت «بيتي» المعزاتين كالمعتاد إلى غابة البتولا، وراحت تغني من جديد مع نفسها بمرح. ولدى وصولها إلى الغابة بدّأت المعزاتان بالرعي، فيما جلست هي تحت الشجرة وأخذت تغزل بجد، وهي تغني مع نفسها طوال الوقت، فالعمل يأتي بأفضل حال من اليد عندما يغني المرء مع نفسه. وأشارت الشمس إلى منتصف النهار. فأعطت «بيتي» كل واحدة من معزاتيها قطعة خبز، ومضت إلى شجيرات الفراولة، وبعد أن عادت بدأت تتناول غذاءها وتثرثر مع المعزاتين. وبعد الغداء، عندما كانت تجمع كِسَر الخبز من حجرها بيدها وتضعها على صخرة كي تتمكن العصافير من أخذها، تنهدت وقالت: «آه، يا معزاتيّ الصغيرتين، ليس عليَّ الرقص اليوم».

فسمعت صوتاً جذلاً يخاطبها: «ولماذا ليس عليك الرقص؟».

وظهرت الفتاة الحسناء جالسة إلى جانبها، كأنها نزلت من السحاب. فخافت «بيتي» أكثر من المرة الأولى، وأغمضت

Twitter: @ketab_n

عينيها لعلها لا ترى الفتاة، لكن عندما كررت الفتاة السؤال، أجابت «بيتي» باستحياء: «اعذريني، أيتها السيدة الجميلة، لا يمكنني الرقص معك، لأنني لن أنجز غزلي مرة ثانية، وستوبخني أمي. فاليوم، قبل غروب الشمس، عليَّ أن أتم ما تركته غير منجز بالأمس».

فقالت الفتاة: «تعالي فقط ولنرقص». وطوت ثوبها إلى جانبها، وأخذت بيتي من خصرها، فيما جلس الموسيقيون على أغصان البتولا وانطلقوا يعزفون، وبدأت الراقصتان تدوران طرباً. وصارت الفتاة الجميلة ترقص رقصاً أجمل من المرة السابقة. وما كانت «بيتي» تقدر على رفع عينيها عنها، ونسيت المعزاتين وغزلها. وأخيراً توقفت الراقصة، وتوقفت الموسيقى، وكانت الشمس توشك على المغيب. وصفقت بيتي يدها على رأسها، وعندما أحست أن الكتان لم يُبرم، صارت تبكي. ووضعت الفتاة الجميلة يدها على رأسها، فأخذت الكتان، وبَرمَته حول ساق شجرة بتولا نحيلة، وأمسكت بالمغزل، وشرعت تغزل. راح المغزل يدور على الأرض، ويمتلئ بسرعة أمام عينيها، وقبل مغيب الشمس وراء الغابة، كان كل الكتان قد غُزِل، ومعه كل ما لم تتمه بيتي في اليوم السابق. وبينما كانت تضع ملف الخيوط

Twitter: @ketab_n

كله بيد الفتاة بيتي، قالت الفتاة الحسناء: «لفّيه ولا تتذمري - تذكري كلماتي، لفّيه ولا تتذمري!».

وما إن قالت هذه الكلمات حتى اختفت، كأن الأرض انشقّت وابتلعتها. اطمأنت «بيتي»، وراحت تفكر في طريق عودتها: «إذا كانت طيبة ولطيفة هكذا، فسأرقص معها ثانية إذا جاءت مرة أخرى».

وراحت تغني من جديد حتى إن المعزاتين كانتا تتقافزان بمرح. لكن أمها لم ترحب بها ببهجة. فقد كانت تتمنى طوال اليوم غزل الخيوط، ولمّا رأت المغزل غير ممتلئ، تعكّر مزاجها. وسألتها أمها مؤنبة إياها: «ماذا كنت تفعلين البارحة حتى لم تنهِ غزلكِ؟».

فقالت «بيتي» باستحياء: «العفو يا أمي، لقد أطلت بالرقص قليلاً»، وأرت أمها المغزل وأضافت: «هذا عمل اليوم والبارحة».

لم تقل أمها شيئاً، ومضت تحلب المعزاتين، فيما راحت بيتي تضع المغزل في مكانه. كانت تتمنى أن تحكي لأمها عن مغامرتها، لكنها فكرت في نفسها مرة أخرى: «لا، ليس قبل أن تأتي مرة

Twitter: @ketab_n

أخرى، وأسألها من أي جنس هي، وبعدها أقول لأمي». لذا أسكتت عقلها عن التفكير وحبست لسانها عن ذكر شيء.

في صباح اليوم الثالث، كالمعتاد، ساقت المعزاتين إلى غابة البتولا. وبدأت المعزاتان بالرعي، فيما جلست «بيتي» تحت الشجرة وأخذت تغني وتغزل. وأشارت الشمس إلى منتصف النهار. طرحت بيتي مغزلها على العشب، وأعطت كل واحدة من معزاتيها قطعة خبز، وجلبت ثمرات فراولة، وتناولت غذاءها، وبينما هي تعطي كِسَر الخبز للعصافير، قالت: «يامعزاتيّ الصغيرتين، سأرقص لكما اليوم!» وقفزت، وثنت يديها، وراحت تحاول ما إذا تستطيع الرقص بروعة رقص الفتاة الجميلة، وفي لحظة رأتها تجلس أمامها. فقالت لبيتي: «فلنرقص معاً!». وأمسكتها من خصرها، وفي اللحظة نفسها انطلقت الموسيقى من فوق رأسيهما، وكانت الفتاتان تدوران بخطى مرفرفة. ونسيت «بيتي» مغزلها ومعزاتيها، فلم تكن ترى شيئاً غير الفتاة الحسناء، بجسدها المتمايل في كل اتجاه كغصن صفصاف، و لم تكن تفكر بشيء غير الموسيقى الساحرة، التي على أنغامها تتقافز قدميها.

رقصتا من منتصف النهار حتى المساء. ثم توقفت الفتاة، وتوقفت الموسيقى. نظرت «بيتي» حولها، كانت الشمس نزلت وراء الغابة. شبكت يداها على رأسها والدموع تتقاطر من

Twitter: @ketab_n

عينيها، والتفتت تبحث عن المغزل الممتلئ نصفه، وانتحبت مما ستقوله أمها لها. فقالت لها الفتاة الجميلة: «أعطيني سلّتكِ. سأتم لكِ ما لم تنجزيه اليوم».

ناولتها بيتي سلّتها، واختفت الفتاة لحظة، ثم أعادت لبيتي السلّة قائلة: «لا تنظري إليها الآن، بل في البيت»، ومضت مسرعة كأنما حملتها الرياح. خشيت «بيتي» من اختلاس النظر في السلة فوراً، لكن في منتصف طريقها إلى البيت لم تستطع مسك نفسها. كانت السلة خفيفة وكأن لا شيء فيها. ولم تستطع تمالك نفسها والنظر في ما إذا كانت الفتاة قد خدعتها. وكم كانت خائفة عندما رأت أن السلة مليئة... بأوراق البتولا! بعدها، وليس حينها، صارت تبكي وتنتحب على سذاجتها الكبيرة. وبغضب رمت حفنتي الأوراق، وهزت السلة، لكن بعدها فكرت في نفسها «سأستخدمها مهاداً للمعزاتين»، ووضعت بعض الأوراق في السلة.

كانت تخشى العودة إلى البيت. ورأت المعزاتان راعيتهما وكأنها غريبة عنهما. وجدت أمها تنتظرها على عتبة باب البيت والقلق يملؤها. فكانت أولى كلماتها لمّا رأتها: «بحق السماء أيتها

Twitter: @ketab_n

البنت! أي ملف خيوط جلبت لي البارحة؟».

فسألتها «بيتي» بوجل: «لماذا؟».

فقالت الأم بحِّدة: «عندما خرجتِ في الصباح، ذهبت إلى البكرة، فرحت ألف وألف ويبقى ملف الخيوط مليئاً. شلّة خيوط، اثنتان، ثلاث، ويبقى الملف مليئاً. أي روح شريرة غزلته؟».

وفي هذه اللحظة اختفى الغزل من المغزل، كأنه بخار. فقالت الأم: «أخبريني ما معنى هذا!».

حينئذ اعترفت «بيتي» وراحت تروي قصة الفتاة الجميلة. وما إن سمعت الأم ما جرى مع ابنتها حتى صاحت بدهشة: «هذه سيدة الغابة!». وراحت تقول: «قرابة منتصف النهار ومنتصف الليل يقمن سيدات الغابة حفلات رقصهن. من حسن حظك أنك لست ولداً، إذ لما خرجت من بين أيديها حيةً. ولرقصت معك ما دام في جسدك نَفَس، أو داعبتك حتى الموت. لكنهن يشفقن على البنات، وغالباً ما يمنحنهن هدايا ثمينة. من المؤسف أنك لم تخبريني، فلو لم أتكلم معك بحدة، لربما غصت الغرفة بالغزل».

Twitter: @ketab_n

حينئذ فكرت بيتي بالسلة، ففي نهاية المطاف، لربما كان تحت تلك الأوراق شيء ما. فمضت تخرج مغزلها والكتان غير المغزول، وما إن وقع نظرها على ما فيها حتى صاحت: «انظري يا أمي!». فنظرت أمها في السلة وصفقت يديها. فقد تحولت أوراق شجر البتولا إلى ذهب! لكن «بيتي» قالت: «لقد أمرتني ألا أنظر إليها الآن، بل في البيت! لكني لم التزم بما قالته».

وفكرت الأم: «من حسن حظك أنك لم تفرغي السلة كلها».

في الصباح اللاحق، ذهبت الأم بنفسها لتلقي نظرة على المكان الذي رمت فيه بيتي حفنتي الأوراق، لكنها لم تجد شيئاً ساقطاً هناك سوى أوراق بتولا طرية. لكن الثروة التي حصلت عليها «بيتي» اشترت لهما بيتاً واسعاً بما فيه الكفاية.

واشترت أمها أرضاً زراعية صغيرة، وصارت لديهما ماشية كثيرة. وصارت لدى «بيتي» ملابس رائعة، و لم تعد مجبرة على رعي الماعز، لكن أياً كان الذي امتلكته، ومهما كانت فرحة وسعيدة، ما كان هناك شيء يمنحها سعادة بحجم سعادتها حين

Twitter: @ketab_n

رقصت مع سيدة الغابة. وكانت غالباً ما تذهب إلى غابة البتولا، إذ كانت تنجذب إلى هناك. وكانت تأمل بحظ كبير يجعلها ترى الفتاة الحسناء، لكن عينيها لم تریاها قطّ بعد ذلك.

Twitter: @ketab_n

جورج صاحب المعزاة

كان ثمة ملك له بنت لم يكن شيء يقدر على حملها على الضحك، وكانت على الدوام حزينة. فقرر الملك أن يزوّجها من أي رجل يتمكن من إضحاكها. وكان هناك أيضاً راعٍ لديه ابن اسمه جورج. وذات يوم قال الولد لأبيه: «أبت! أنا أيضاً سأذهب لأرى إنْ كنت أستطيع إضحاكها. ولا أريد منك شيئاً سوى المعزاة».

فأجابه أبوه: «حسن، اذهب».

وكانت لدى المعزاة ميزة أنها تحتجز أي أحد وترغمه على الالتصاق بها إذا أراد سيدها ذلك.

هكذا أخذ المعزاة ومضى، فالتقى رجلاً يضع خفيه على كتفه. فقال له جورج: «لماذا تضع خفيك على كتفك؟».

فرد عليه: «عندما أنتعلهما، أثب مئات الأميال».

Twitter: @ketab_n

فقال له جورج: «وأين وجهتك؟».

فقال الرجل: «ذاهب للبحث عن عمل، لعل أحدهم يأخذني عنده».

فقال له جورج: «حسن، تعال معي».

ومضيا معاً، وثانية التقى رجلاً يعصب عينيه، فقال له: «لِمَ تعصب عينيك؟».

فأجابه هذا: «لو رفعت العصابة عنهما، أبصر مئات الأميال».

فقال له جورج: «والى أين وجهتك؟».

فأجابه الرجل: «ذاهب للبحث عن عمل، فما رأيك أن تأخذني لديك».

فأجابه جورج: «نعم، سأخذك. تعال معي أيضاً».

وساروا لبعض الوقت، والتقى آخر كان يتأبط قنينة تحت ذراعه، وبدلاً من أن يغلقها بسدادة، كان يضع إبهامه. فسأله جورج: «لماذا تضع إبهامك فيها؟».

فقال هذا: «لو سحبت إبهامي، لانبجس الماء ورش كل شيء

Twitter: @ketab_n

اختاره. وإذا رغبتَ، خذني في خدمتك، فلعل هذا في صالحك وصالحنا نحن أيضاً».

فرد جورج: «حسن، تعال أنت أيضاً!».

وساروا حتى وصلوا إلى مدينة الملك، واشتروا رباطا حريرياً للمعزاة. وجاءوا إلى خان، وكانت الأوامر أعطيت سلفاً أنه عندما يأتي مثل هكذا أشخاص، يوفَّر لهم ما يشتهون من طعام وشراب ـ والملك يدفع تكاليفها كلها. لذا فقد ربطوا المعزاة بالرباط الحريري ونقلوها إلى غرفة صاحب الخان ليعتني بها، ووضعها هذا في الغرفة الجانبية حيث تنام بناته.

وكانت بنات صاحب الخان الثلاث لم ينمن بعد. فقالت مانكا: «أوه! لو كنت أنا أيضاً أستطيع الحصول على مثل هذا الرباط! سأذهب وأفكه عن المعزاة».

وقالت الثانية، دودلا: «لا تفعلي، سيعرف ذلك في الصباح».

لكنها مع ذلك ذهبت إلى ما تريد فعله.

وعندما مضى وقت طويل ولم تعد مانكا، قالت الثالثة،

Twitter: @ketab_n

كيت: «اذهبي واحضريها». وهكذا ذهبت دودلا، وربتت على ظهرها: «تعالي، اتركي المعزاة لوحدها!»، لكن دودلا وجدت نفسها عاجزة عن سحب نفسها عن أختها. فجاءتهما كيت وقالت: «تعاليا، لا تفكا رباطها!»، وراحت تربت ظهر أختها، وعندها لم تتمكن هي أيضاً من جر نفسها، والتصقت بها.

في الصباح، أسرع جورج إلى المعزاة، وجرَّ الفتيات اللواتي التصقن بها جميعهن ـ كيت، ودودلا، ومانكا. كان صاحب النزل لا يزال نائماً. ومضوا من وسط القرية، ونظر القاضي عبر النافذة وقال: «أف، كيت! ما هذا؟ ما هذا؟» ومضى يجرها من يدها راغباً في تخليصها، لكنه التصق بها أيضاً. بعد ذلك، كان ثمة راعي بقر يسوق بعض البقرات في شارع ضيق، وحدث أن جاء ثوره مندفعاً نحوهم، فالتصق بهم بسرعة، وقاده جورج مع الجوقة أيضاً.

وساروا هكذا حتى وصلوا أمام القلعة، فخرج الخدم من الأبواب، وعندما شاهدوا هذا الحال، راحوا يخبرون الملك: «يا سيدي، رأينا أمامنا مشهداً فيه أنواع التنكر كلها، التي لم نشهدها هنا قطّ».

عليه اصطحبوا في الحال ابنة الملك إلى الباحة أمام القلعة،

Twitter: @ketab_n

فنظرت إليهم وصارت تضحك حتى اهتزت القلعة.

فسألوه عن شخصه ومن يكون. فقال لهم إنه ابن راع، واسمه جورج. فقالوا له إن الزواج لا يمكن أن يتم بهذا الحال لأنه من أصل متواضع، ولا يمكنهم إعطاءه الآنسة، لذا عليه أن ينجز أشياء أكثر مما فعل لهم.

فقال لهم متعجباً: «ما هي هذه الأشياء؟».

فردوا عليه أن هناك ينبوعاً، على بعد مئات الأميال، فإذا جاء لهم بقدح من الماء منه في دقيقة، فمن حقه أن يأخذ الآنسة. هنا التفت جورج إلى الرجل الذي يضع الخفين على كتفه: «أنت قلت إذا لبست الخفّين، فإنك تستطيع القفز مئات الأميال». فرد عليه: «سأفعل ذلك بسهولة».

فأنزل الخفين وقفز فوصل إلى المكان. لكن الوقت كان قصيراً للغاية، وعليه العودة بالماء. لذا قال جورج إلى الثاني: «أنت قلت إذا رفعت العصابة عن عينيك، فبإمكانك النظر مئات الأميال». فما هي إلا نظرة سريعة فرأى كل ما يدور: «آه، سيدي! يا للطف الخالق! لقد خرَّ نائماً!». فقال جورج: «سيكون هذا أمراً سيئاً. سينتهي الوقت. أنت، أيها الرجل الثالث، قلت إنك إذا رفعت إبهامك، ستنبجس المياه مئات الأميال، أسرع وادفعها إلى هناك،

Twitter: @ketab_n

لعله يستيقظ. وأنت انظر ما إذا كان يتحرك أم لا».

فأجابه هذا: «أوه، سيدي إنه ينهض الآن، وها هو ينفض الغبار عنه».

ثم قفز ووصل عندهم في الوقت المحدد بالضبط.

بعد هذا، قالوا إن عليه القيام بعمل آخر، فهناك على صخرة بعيدة حيوان بري، هو أحادي القرن، من وحشيته أنه قضى على الكثير من شعبهم، فإذا قضى عليه، سيحصل على الآنسة. فما كان عليه إلاّ أن يأخذ رفاقه متوجهاً إلى الغابة. فوصلوا إلى غابة نار. ووجدوا ثلاثة حيوانات برية، وثلاثة مخابئ تكونت من تمرغها. لم يكن اثنان منهما يفعلان شيئاً، لكن الثالث يقضي على الناس. لذلك تناولوا بعض الصخور وبعض أقماع الصنوبر ووضعوها في جيوبهم، وتسلقوا شجرة، وحينما تمددت الوحوش، ألقوا صخرة على واحد منها وهو أحادي القرن. فقال أحادي القرن لمن بجانبه: «اهدأ، لا تنطحني».

فقال هذا: « لم أفعل شيئاً لك».

ومرة أخرى رموا صخرة من الأعلى على أحادي القرن. فقال هذا: «اهدأ! لقد فعلت هذا بي مرتين».

فرد عليه الآخر: «ومرة أخرى لم أفعل شيئاً لك».

Twitter: @ketab_n

وهنا هجم أحدهما على الآخر. أراد أحادي القرن طعن الحيوان الثاني في بطنه، لكن هذا قفز مبتعداً، ثم هاجمه بشدة حتى نبت قرنه في شجرة، و لم يتمكن من تخليصه بسرعة. هنا قفزوا عليه بسرعة من فوق شجرة التنوب، وذعر الحيوانان الآخران وولّيا هاربين، فقطع جورج وأصدقاؤه رأس الثالث، أحادي القرن، وحملوه إلى القلعة.

ولّما رأى الذين في القلعة أن جورج أتم مهمته مرة أخرى، قالوا: «أرجوكم ماذا نفعل؟ لربما في نهاية المطاف علينا إعطاءه الآنسة!».

فانبرى أحد الحاضرين قائلاً: «كلا، سيدي، لا يمكن لذلك أن يحدث، إنه حقير الأصل ولا يجوز أن ينال ابنة ملك! بل على نقيض ذلك، علينا طرده خارج هذا العالم».

فأمرهم الملك بالانتباه إلى كلماته، وما يقول. وكانت ثمة أجيرة في القصر تعمل كخادمة، فقالت له: «جورج، سوف يصيبك شر هذا اليوم، سيطردونك من العالم». فأجابها: «أوه، أنا لا أخشى من هذا. فعندما كنت في سن الثانية عشرة فقط، قتلت اثني عشر منهم في ضربة واحدة!». لكن الحقيقة هي: كانت أمه تحضّر عجينة كعكة مسطحة، فحطّت عليها زهاء اثنتا عشرة ذبابة، فقتلها كلها بضربة واحدة.

Twitter: @ketab_n

لكنهم عندما سمعوا ذلك، قالوا: «لا شيء سينهي حياته غير إطلاق النار». فهيأوا الجنود، وقالوا إنهم سينظمون استعراضاً على شرفه، بمناسبة إقامة حفل زفاف في الباحة أمام القلعة. ثم اصطحبوه إلى المكان، وكان الجنود على أهبة الاستعداد لمهاجمته. لكن قال للرجل الذي يضع إبهامه في القنينة بدلاً من سدادة: «أنت قلت إذا سحبت إبهامك، سترش كل شيء بالماء. فاسحبه الآن بسرعة!». فقال الرجل: «أوه، سيدي، سأفعل ذلك بسهولة».

وسحب إبهامه وراح يرشّهم بقوة وأصيبوا كلهم بالعمى، و لم يتمكن ولو واحد منهم من النظر.

وعندما أدركوا أن أي شيء لن يتمكن منه، عرضوا عليه أن يعطوه الآنسة مقابل رحيله. ومنحوه ثوباً ملكياً بديعاً، وأجريت مراسم العرس الذي حضرته شخصياً. وقد عزفوا الموسيقى، وغنوا وأكلوا وشربوا، وكان هناك لحم، وفطائر بالجبن، وسلال مليئة بكل شيء، ودلاء مليئة بالنبيذ.

اليوم ذهبت، وبالأمس جئت، ووجدت بيضة بين جذوع الأشجار، فقرعتها برأس أحدهم، وصار رأسه أصلع، وما زال كذلك إلى الآن.

Twitter: @ketab_n

حكايات من مورافيا

لمورافيا شهرة عريضة أصلها نهر مورافيا (في الألمانية نهر مارخ)، الذي منه، ومن روافده، يتكون حوض مورافيا. وهو يصب في الدانوب فوق بريسبورغ بقليل. وفي أزمنة مبكرة جداً، ظهرت مورافيا الأكثر تحضراً وقوة من بوهيميا، لكن في ما بعد، صارت بوهيميا مملكة ذات شأن، ومورافيا تابعة لها، وفي آخر الأمر إقطاعية تحت التاج البوهيمي.

لا تختلف الحكايات المورافية إلا في بعض الخصائص عن تلك البوهيمية. فهذه البلاد، على خلاف بوهيميا، تزخر باللهجات، على أن لغة الأدب هي البوهيمية. ففي شرقْ مورافيا تتلاشى في السيليزية، أو «المياه البولندية».

فالحكاية الثامنة، «عرّابة الموت»، هي حكاية بديلة من الحكاية التيوتونية «عرّاب الموت»، التي قدّمها غريم. السبب وراء تمثيل الموت بالعرّابة، بدلاً من عرّاب، في الحكاية المورافية،

Twitter: @ketab_n

هو أن الموت[1] مؤنث في اللهجات السلافية قاطبة. ويكون بناء الحكاية على هذا الأساس أكثر رشاقة وامتلاء بالأحداث من القصة التيوتونية، التي يتمثل الموت فيها مذكراً[2].

أما الحكاية التي تليها، أي «الإخوة الأربعة»، فتندرج في باب «الكناية عن العلوم الطبيعية»، التي هي أوضح وأبسط في بنائها وتأويلها من أي حكاية بديلة منها اطلعت عليها.

Twitter: @ketab_n

(1) Smrt أي الموت (م).

(2) الموت في العربية مذكّر أيضاً. لذا آثرنا صياغة تعبير ينسجم إلى حد ما مع الثقافة العربية ويحافظ على خصائص الحكاية الأصل: «نازعة الأرواح»(م).

عزّابة الموت

كان ثمة رجل فقير جداً فيما يتعلق بمتاع الدنيا، وهبته زوجته مولوداً صبياً. ولم يرغب أي أحد كان أن يكون عرّابه، لأنه كان مدقع الفقر. قال الأب لنفسه: «يا الهي، إن فقري الشديد يمنع الناس من أن يخدموني في هذا الأمر، سوف أخذ الصبي، وأمضي، وسأسأل أول شخص أقابله أن يكون عرّابه، وإنْ لم أجد أحداً، لعل القَنْدلَفْت[1] سيساعدني في ذلك».

فمضى وقابل نازعة الأرواح، لكنه لم يعرف من تكون، كانت امرأة جميلة كأيةامرأة أخرى. فطلب إليها أن تكون العرّابة، فلم تعتذر، وحيّته كوالدة لابنها بالمعمودية، وحملت الصبي بذراعيها، وسارت به إلى الكنيسة. عُمِّد الصبي الصغير كما ينبغي. وعندما خرجوا من الكنيسة، اصطحب والد الصبي العرّابة إلى خان، وأراد أن يكرمها كما يليق بها. لكنها قالت له: «أيها الوالد، دع هذا جانباً، وتعال معي إلى سكني».

(1) شخص يتولى رعاية كنيسة، وفناء كنيسة، وعادة ما يتولى قرع الأجراس، وحفر القبور(م).

Twitter: @ketab_n

فأخذته معها إلى مسكنها، وكان مؤثثاً بروعة بالغة. بعد ذلك، اصطحبته إلى سراديب تحت الأرض، وعبر هذه السراديب مضوا مباشرة إلى العالم السفلي في الظلام. كانت هناك شموع تحترق بثلاثة أحجام: صغيرة ومتوسطة وكبيرة، وكانت هناك شموع عملاقة غير مشتعلة. قالت العرّابة لوالد الصبي: «انظر أيها الوالد، لديَّ هنا عمر حياة كل واحد».

راح والد الصبي يحدق في المكان، فوجد شمعة صغيرة جداً قريبة إلى الأرض، فسألها: «أيتها الوالدة، أرجوك، من هذه الشمعة الصغيرة القريبة من الأرض؟». فقالت له: «إنها شمعتك! عندما تتضاءل أي شمعة، يقتضي أن أذهب إلى ذلك الإنسان».

فقال لها: «أيتها الأم، ألتمسك، مُدّيني بزيادة».

فقالت له: «أيها الوالد، ما بمقدوري ذلك!».

وبعد برهة، مضت وأنارت شمعة كبيرة جديدة للصبي الذي كانوا قد عمَّدوه. في هذه الأثناء، وبينما لم تكن العرابة منتبهة، أخذ والد الصبي لنفسه شمعة كبيرة جديدة، فأنارها، ووضعها حيث كانت الشمعة الصغيرة تحترق. نظرت العرابة

Twitter: @ketab_n

حوله وقالت: «أيها الوالد، ليس عليك أن تفعل ذلك بي، لكن إنْ أعطيت نفسك عمراً إضافياً، فأنت فعلت ذلك وحصلت عليه. دعنا نذهب من هنا، وسوف نمضي إلى زوجتك».

وأخذت معها هدية، وذهبت مع والد الصبي والصبي إلى الأم. وعندما وصلت، وضعت الصبي في مهد أمه، وسألتها عن حالها، وما إذا تشعر بألم ما في جسدها. فبثت الأم لها حزنها، وذهب الوالد إلى شراء بعض الشراب، إذ أراد أن يسليها هي والعرابة في كوخه، كي يسعدها ويظهر امتنانه لها. فشربوا وتسلّوا معاً. وبعد ذلك، قالت العرابة لوالد ابنها بالمعمودية: «أيها الوالد، فقرك الشديد منع الجميع إلاّي من خدمتك في هذا الأمر، لكن لا بأس، ستتذكرني! سأذهب إلى بيوت عدد من الشخصيات الكبيرة وأصيبهم بالسقم، وأنت تطببهم وتداويهم. سأعرفك الأدوية كلها، وهي لدي، وسيُسّر جميعهم ويكافئونك جيداً، وما عليك سوى الاهتمام بالآتي: عندما أقف عند قدمي أي أحد، بإمكانك مساعدته، لكن إنْ وقفت عند رأس أحدهم، فلا تحاول مساعدته».

Twitter: @ketab_n

وراح والد الصبي يمضي من مريض إلى مريض، من الذين أمرضتهم العرابة، ويداوي كل واحد منهم. وما هو إلا وقت قصير، حتى صار طبيباً مرموقاً. وحدث أن أميراً كان على فراش الموت ـ بل كان يلفظ أنفاسه الأخيرة ـ ومع ذلك أرسلوا بطلب الطبيب. ولمّا جاءه، بدأ يدهنه بمراهم وأعطاه مساحيق، فتحسن حاله. وعندما رد له صحته، أجزلوا له العطاء، من دون أن يسألوه عما يطلبه. ومرة أخرى، كان أحد النبلاء على فراش الموت. فأرسلوا بطلب الطبيب. وجاء الطبيب. كانت نازعة الأرواح تقف عند رأس الكونت. فصاح الطبيب: «إن حالته سيئة، لكن علينا المحاولة».

فاستدعى الخدم، وأمرهم بعكس اتجاه فراش المريض بحيث يجعل قدميه باتجاه نازعة الأرواح، وبدأ يدهنه بزيوت ويعطيه مساحيق في فمه، فتحسنت حاله. وأعطاه النبيل مقابل ذلك كل ما يستطيع حمله، من دون أن يسأله عما يطلبه من اجر، فقد كان سعيداً للغاية باسترداد صحته. وعندما التقت نازعة الأرواح بالطبيب، قالت له: «أيها الوالد، إنْ حدث مثل هذا لك ثانية، لا تحتل عليَّ الحيلة نفسها مرة أخرى. صحيح أنك جعلت حاله أحسن، لكن ذلك لبعض الوقت فقط، إذ ينبغي مني أخذه مهما كان حاله».

Twitter: @ketab_n

وقضى والد الصبي بضع سنوات في هذا الوضع، وتقدّم به العمر. لكن في نهاية الأمر، أنهك وطلب إلى نازعة الأرواح أن تأخذه. لم تكن نازعة الأرواح قادرة على أخذه، لأنه منح نفسه شمعة طويلة إضافية، فكانت ملزمة بانتظار ذوبانها. وفي أحد الأيام، توجه إلى أحد المرضى لعلاجه، وفعل. وبعد ذاك، ظهرت له نازعة الأرواح، وركبت معه في العربة ومضيا معاً. وبدأت تداعبه وتمازحه، وتدغدغه بغصن أخضر صغير تحت عنقه، فرمى نفسه بحضنها، وغط بنومه الأخير. فطرحته نازعة الأرواح في العربة، وغادرت. فوجدوا الطبيب ميتاً في عربته، ونقلوه إلى البيت. وانتحبت المدينة والقرى كلها، وقال الناس: «على هذا الطبيب نأسف أسفاً كبيراً. أي طبيب رائع كان! وأيّ مساعدة قدّمها لنا، لن يكون له مثيل مرة أخرى قطّ!» وبقي ابنه من بعده، لكنه لم يكن يملك المهارة نفسها.

وفي أحد الأيام، ذهب الابن إلى كنيسة، فالتقته عرابته. فسألته: «كيف حالك يا ولدي العزيز؟».

فأجابها: «ليست الأحوال كما كانت، لكن ما دام في يدي الآن ما ادخره أبي لي، فالأمر جيد، لكن الرب يعلم كيف سيكون حالي بعد ذلك».

فقالت له عرابته: «حسن، يا ولدي، اطمئن. أنا أمك بالمعمودية،

Twitter: @ketab_n

لقد ساعدت أباك من قبل في ما كان لديه، وسوف أعطيك كذلك ما تُرزق به. عليك الذهاب إلى أحد الأطباء لتتلمذ على يديه، وستكون أكثر مهارة منه، وما عليك في هذا سوى أن تتصرف بلطف».

بعدها، دهنته بزيت حول أذنيه، ودلّته على طبيب. لم يكن الطبيب يعلم أي سيدة هذه، وأي ابن جلبت له ليتعلم على يديه. أمرت السيدة ابنها ليتصرف بلطف، وطلبت إلى الطبيب أن يعلمه تعليماً جيداً، ويوصله إلى مقام رفيع. ثم تركته وغادرت. مضى الطبيب والشاب معاً لجمع أعشاب، فكانت كل عشبة تعرّف التلميذ منافعها العلاجية، فيأخذها. كان الطبيب يجمع أعشاباً أيضاً، لكنه لا يعرف أي عشبة يأخذ، وأي دواء فيها. كانت أعشاب التلميذ نافعة لعلاج الأمراض كلها. فكان الطبيب يقول لتلميذه: «أنت أذكى مني، لأنني لا أشخص حال من يأتيني، وأنت تعرف الأعشاب التي تكافح كل مرض. أتعرف ماذا أريد؟ دعنا نتشارك. سوف أتنازل لك عن شهادة الطبيب، وسوف أكون معاونك، وأنا أريد البقاء معك حتى الموت».

أصاب الشاب نجاحاً في التطبيب والمعالجة حتى ذوبان شمعته إلى آخرها.

Twitter: @ketab_n

الإخوة الأربعة

في زمن من الأزمان كان هناك صياد له أربعة أبناء، وأراد هؤلاء الأبناء الذهاب لاكتساب خبرة في بلاد العالم. وبما أن أعمارهم كلهم كانت أكبر من ست عشرة سنة[1]، قالوا لأبيهم: «يا أبانا، نحن ذاهبون إلى بلاد العالم، نلتمسك أن تعطينا مالاً لسفرنا».

أعطاهم والدهم 100 درهم[2] وفرساً لكل واحد منهم. فركبوا على خيلهم وساروا إلى الجبال. وفي أحد الجبال، كان هناك أربعة طرق، وقفت بينها شجرة زان. عند شجرة الزان هذه توقفوا، وقال أكبرهم سناً لبقية إخوته: «يا إخوتي، دعونا ننفصل هنا، وليذهب كل واحد منا بطريق مختلف بحثاً عن نصيبه في الدنيا. دعوا كل واحد منا يغرز سكينه في شجرة الزان هذه، وبعد عام ويوم نلتقي كلنا هنا معاً. سوف تكون هذه السكاكين

(1) إشارة إلى البلوغ، ومع ذلك توجب منهم أخذ رأي أبيهم، كتلميح إلى الاحترام(م).

(2) في الأصل «فلورين»، وهي عملة ذهبية بريطانية، كانت تستخدم في القرن الرابع عشر تساوي اليوم 6 شلنات(م).

Twitter: @ketab_n

علامات لنا، وإذا صدئت أي واحدة من هذه السكاكين، فإن صاحب تلك السكين سوف يموت، والذي لا تصدأ سكينه سيحيا ويعافى». فتفرقوا، ومضى كل في طريقه، وعندما وصل كل واحد منهم إلى مكانه المناسب، تعلم حرفة يدوية. فصار أكبرهم مُرتِّقاً، والثاني لصاً، والثالث منجّماً، والرابع صياداً.

وعندما مضى عام وجاء يوم، انطلقوا بطريق عودتهم. وصل أكبرهم إلى شجرة الزان أولاً، فنزع سكينه منها ونظر إلى السكاكين الأخرى. وعندما رأى أن جميعها لم تصدأ، سُرَّ وقال: «الحمد لله! كلنا أحياء وبصحة جيدة».

وأخذ طريقه إلى البيت. ولمّا جاء إلى والده، سأله أبوه: «أي مهنة تعلمت؟».

فأجاب الابن «يا أبت، لا فائدة من الإطالة عليك، أنا مُرتِّق».

فقال الأب: «حسن، لقد تعلمت مهنة مربحة».

فردّ الابن: «لكن يا والدي لست مُرتِّقا كباقي المُرتِّقين، فإذا كان هناك شيء ما بالياً، ما عليّ سوى أن أقول «له: تحسَّن، فيصير كذلك من ساعته».

Twitter: @ketab_n

كان لدى الأب معطفا باليا ممزقاً حتى المرفقين، فطلب منه أن يرتقه له. فقال الابن كلمته: تحسَّن. فتحسن المعطف في لحظة كما لو كان جديداً، وما كان أحد ليميز أبداً أنه مُرتّق. ولمّا رأى الأب هذا لم يقل شيئاً.

وفي اليوم التالي وصل الابن الثاني إلى شجرة الزان. وسحب سكينه، ونظر إلى السكينين المتبقيتين، فالثالثة قد سُحبت أصلاً. وبعد أن رأى أنها لم تصدأ، سُرَّ وقال: «الحمد لله! كلنا أحياء وبخير، وأخونا الكبير سبقنا إلى البيت».

وعاد أيضاً إلى البيت. وعندما جاء إلى أبيه، سأله هذا: «أي مهنة تعلمت؟».

فرد الابن: «أبي العزيز، لا فائدة من الإطالة عليك، أنا لص».

فقال الأب: «أوه، تعلمت تجارة لطيفة مربحة! يا لعارك!».

فقال الابن له: «لكن يا أبي، لست لصاً كحال أي لص، بل أنا لص عندما أفكر بأي شيء، وبأي مكان يكون، أحصل عليه في الحال».

Twitter: @ketab_n

وما كاد ينهي كلامه حتى ظهر أرنب بري يعدو على التلال، وكان بادياً عبر النافذة، فطلب الأب منه أن يأتي بالأرنب. فقال الابن في الحال: «لتأت أيها الأرنب البعيد إلى هنا»، وفي الحال صار الأرنب بينهم.

بعدما رأى هذا، لم ينطق الأب بكلمة. وفي اليوم الثالث جاء الابن الثالث إلى شجرة الزان، سحب سكينه منها ونظر إلى السكين الأخرى، و لم يجد السكينين الأخريين. ولمّا رأى أنها نظيفة لا صدأ فيها قال: «الحمد لله! جميعنا أحياء وبخير، وأخواي الأكبران في البيت الآن».

ومضى أيضاً إلى البيت. عندما جاء إلى أبيه، سأله أبوه أي مهنة تعلم. فرد الابن: «أبي العزيز، لا فائدة من الإطالة عليك، أنا منجّم».

فقال أبوه: «هذه مهنة حسنة».

فأجاب الابن: «لكن يا والدي أنا منجّم عندما أنظر إلى السماء، أرى مكان أي شيء كان في الأرض كلها».

في اليوم الرابع جاء أصغر الإخوة إلى شجرة الزان وسحب سكينه منها، وكانت السكاكين الثلاث الأخرى قد أخذت،

Twitter: @ketab_n

فسُعِد وقال: «إخوتي الآن كلهم في البيت». ومضى هو أيضاً إلى البيت. وعندما جاء إلى أبيه، سأله الأب أي مهنة تعلم. فأجابه الابن بأنه الآن صياد. فقال الأب: «على أي حال، أنت لم تحط من قدر مهنتي، لأنك شاب طيب».

فقال الابن: «لكن يا والدي العزيز، لست صياداً مثلك، بل عندما تكون هناك طريدة نادرة، ما عليَّ سوى أن أقول: تعالي، فأصطادها في الحال».

وفي هذه الأثناء كان هناك أرنب بري يتقافز سريعاً على التلال، وكان بادياً من خلال النافذة. فقال الأب: «اصطده!» فقال الابن الأصغر كلمته، فسقط الأرنب ميتاً. فقال الأب: «لا أرى ما إذا سقط ميتاً».

فنظر المنجّم في السماء، وقال: «بلى يا أبي لقد سقط ميتاً هناك وراء الشجيرات». فقال الأب: «نعم، سقط هناك، لكن كيف يمكننا جلبه؟».

فقال الابن اللص «لتأت إلى هنا»، وفي الحال صار بينهم.

لكنه جاء من بين شجيرات شائكة، لذلك وصل ممزقاً.

Twitter: @ketab_n

فقال الأب: «جلده كله ممزق، فمن سيشتريه منا؟».

فقال الابن المُرتّق: «ليُرتّق»، وترتّق من فوره.

فقال الأب: «حسن، سوف تكسبون عيشكم أربعتكم من مهنكم».

عاشوا كلهم لبعض الوقت في بيتهم مع أبيهم، وكسبوا عيشهم بنحو جيد. بعدها فقد أحد الملوك الأميرة، ابنته، فأعلم الناس أن أي أحد يجدها فسيعطيه ابنته والمملكة أيضاً. فقال الإخوة لبعضهم: «فلنذهب إلى هناك».

لكنّ أباهم لم يسمح لهم بالذهاب، إلا أنهم مضوا في طريقهم، وأعلنوا أنهم هم الذين سيجدون الأميرة المفقودة. فأرسل الملك بطلبهم. وعندما جاءوا إلى الملك، قالوا إنهم فهموا أنه أبلغ الناس أن ابنته فقدت، وأنه سيعطيها والمملكة أيضاً إلى أي أحد يجدها. فقال الملك إن هذا صحيح، وطلب إليهم في الحال إخباره بمكان ابنته. فرد المنجّم انه لا يستطيع إخباره بمكانها في الحال، لكن عندما يأتي المساء سيرى في السماء أين مكانها. وفي حوالي الثامنة أو التاسعة، خرجوا وحدقوا في السماء. فقال المنجّم إن تنيناً يحبسها، وبأن ذلك التنين قد خطفها عندما كانت تتنزه،

Twitter: @ketab_n

وبأنه وضعها في جزيرة وراء البحر الأحمر، وبأنه يجبرها على التربيت عليه ساعتين كل يوم، واضعاً رأسه في حضنها. وعندما حل النهار، تجمعوا وركبوا عربة متوجهين إلى البحر الأحمر. ثم صعدوا في مركب وجذفوا صوب الجزيرة حيث كانت الأميرة. وعندما وصلوا إلى الجزيرة، كانت الأميرة تتمشى في الخارج، و لم يكن التنين في البيت، لكن الأميرة أشّرت لهم بيديها أنهم في خطر، لأن هذا وقت عودة التنين البيت.

فأسرع الأخ اللص بنطق عبارته: «لتأت الأميرة إلى هنا!». فصارت بينهم من فورها في المركب، لكن صرخت بهم أنهم في خطر، وسيهلكون كلهم. فجذفوا بسرعة بقاربهم، لكن التنين، الممتلئ حنقاً، جارَ وحلق في الهواء فوق رؤوسهم. فقال المنجّم للصياد: «اصطده يا أخي».

فقال الأخ الصياد: «ليسقط».

فوقع التنين، لكنه سقط على المركب وأحدث كسراً فيه اندفع الماء منه. فهرعوا ورموا التنين في البحر، وأمر الأخ الصياد أخاه المرتّق: «أصلح الثقب».

Twitter: @ketab_n

فأصلح المرتّق الثقب حتى أن قطرة ماء واحدة لم تكن تنفذ إلى المركب.

وهكذا وصلوا سالمين مع الأميرة إلى ساحل البحر، فنزلوا على الشاطئ، وأخذوا أماكنهم في عربتهم مع الأميرة، وقفلوا راجعين. لكن فيما كانوا في عربتهم عائدين، تنازعوا على مَنْ الذي سيأخذ الأميرة والمملكة. فقال المنجّم: «الأميرة لي. فمن دوني، ما كنا لنعرف مكانها».

وقال اللص: «الأميرة لي. فمن دوني ما كنا لنأت بها إلى المركب». وقال الصياد إن الأميرة له، فمن دونه ما كانوا يستطيعون قتل التنين.

وصاح المرتّق أن الأميرة له، فمن دونه لغرقوا كلهم وهلكوا.

وعندما وصلوا إلى القصر وجاءوا إلى الملك، طلبوا إليه أن يقرر أي منهم يستأهل الأميرة. فقال الملك: «أيها الإخوة الأعزاء، سأقضي بينكم بالحق. صحيح أنكم جميعاً تستحقونها، لكن لا يمكن أن تكون لكم كلكم. وحسب ما وعدت، فإنها من نصيب الأخ المنجّم، لأنني أبلغت الناس أن مَنْ يجد الأميرة المفقودة

Twitter: @ketab_n

ينالها والمملكة معها، فوجدها المنجِّم، وأخبرنا بمكانها. لكن، لا ينبغي أن يُعامل أي واحد منكم بظلم، فكل واحد سيحصل على مقاطعة من ملكه، وهكذا سيكون كل واحد منكم ملكاً في مقاطعته».

فرضي الجميع بهذا الحكم. أرسل المنجِّم، بعد انتهاء مراسم الزفاف، بطلب أبيه. فجاء الأب، وكان مغتبطاً بأن أولاده أصبحوا ملوكاً كل في مقاطعته. وكان في الربيع، يقيم الأب مع المرتِّق، وفي الصيف مع اللص، وفي الخريف مع الصياد، وفي الشتاء مع المنجِّم، واستمتع بحياته مع كل واحد منهم حتى وفاته.

Twitter: @ketab_n

حكايات هنغارية سلوفينية

يتحدث السلوفينيون أو السلوفاك في شمال هنغاريا لهجات كثيرة جداً، على أن لغتهم الأدبية هي البوهيمية. ويبدون وكأنهم بقايا أمة أكبر أو تجمع من أمم، أرغموا على الخروج من السهول إلى منطقة بانونيا[1] في الجبال من جراء غزو المغيار أو الفرسان الهنغار، الذين، طبقاً لما يذكر المؤرخ الروسي نستور، زحفوا إلى ما وراء كييف في العام 898 ميلادي، في طريقهم للإقامة في منطقتهم الحالية.

ولا تختلف حكاياتهم كثيراً عن القصص البوهيمية، على الرغم من أنها لا تشبهها كثيراً كما حال الحكايات المورافية. فحكاية «الليمونات الثلاث» إحدى الحكايات التي استرعت انتباهي، ودفعتني إلى فكرة ترجمة طائفة كبيرة من خارج تلك الحكايات المئة التي أوردها إيرين. وتنطوي الحكاية التي بعدها على أحداث تدور أيضاً في الحكاية 22 من روسيا البيضاء (الجزء

(1) Pannonia.

Twitter: @ketab_n

الثاني من هذه الترجمة العربية بعنوان «حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة»)، وفي الحكاية الروسية الكبيرة «ايفان بوبيالوف»، التي أوردها رالستن، وان كان في جوانب أخرى تختلف هذه الحكايات اختلافاً كبيراً. والحكاية 22 بديلة أرقى من الحكاية الألمانية رامبيلستلسكن التي قدّمها أوردها غرييم، والحكاية 13 (بعنوان «أغاضب أنت؟») في هذه الترجمة العربية) نموذج مختلف تماماً للحكاية التي تصور «اللادغ الملدوغ».

Twitter: @ketab_n

الليمونات الثلاث

كان هناك، في سالف الزمان، ملك عجوز له ابن واحد. وفي أحد الأيام طلب ابنه ليمثل أمامه، وقال له: «يا بني، ترى أن رأسي قد غزاه الشيب، وقبل أن أغمض عيني إلى الأبد، أريد أن أطمئن على حالك. فتزوج يا ولدي! ودعني أُسعَد بك في وقت طيب بالنسبة لي».

لم يردّ الابن على أبيه، وسرَحَ في أفكاره، إذ انه سَيُسعَد من كل قلبه بتلبية أمنية أبيه، لكنه لا يعرف فتاة يُسّر بها قلبه.

في إحدى المرات، عندما كان جالساً في الحديقة يفكر بما سيفعله، ظهرت امرأة عجوز أمامه فجأة، لا يعرف من أين جاءت وكيف جاءت.

فقالت له: «اذهب إلى التل المزجج، واقطف ثلاث ليمونات، وستحصل على زوجة تسعد قلبك». ومثلما ظهرت اختفت. ومضت هذه الكلمات في نفس الأمير مثل ومضة ضوء. وصمم

Twitter: @ketab_n

في الحال، مهما تكن العقبات، على البحث عن التل المزجج وقطف الليمونات الثلاث. فأخبر والده بما عزم عليه، فأعطاه والده حصاناً، وأسلحة ودرعاً، ثم باركه متمنياً له التوفيق في رحلته.

مضى صاحبنا الأمير في مسعاه ومرَّ بجبال تغطيها غابات، وبصحارى، وسار مسافات بعيدة جداً، لكنه لم يرَ شيئاً، و لم يسمع شيئاً عن التل المزجج والليمونات الثلاث. وذات مرة، شعر بإرهاق شديد من طول رحلته، فرمى نفسه تحت ظل بارد لشجرة ليمون كبيرة. وبينما كان يرمي بنفسه على الأرض، رنّ سيف والده، الذي كان يحمله في جانبه، فنعب اثنا عشر غراباً تقريباً من أعلى الشجرة. إذ أرعبتها قعقعة السيف، وراحت تنشر أجنحتها وتطير في الهواء فوق الشجرة الباسقة.

فوثب الأمير قائلاً لنفسه: «هممم! حتى اللحظة لم أرَ كائناً حياً منذ زمن طويل. سوف أذهب بالاتجاه الذي طارت نحوه الغربان لعل أملاً يلوح لي».

ومضى الأمير، وسار ثلاثة أيام وثلاث ليال كاملة، حتى بدت على مسافة منه قلعة ضخمة. فصاح الأمير: «الحمد لله! سأجد

Twitter: @ketab_n

بشراً في نهاية المطاف»، وتقدم باتجاه القلعة.

كانت القلعة مبنية من رصاص خالص، وكانت الغربان تحوم حولها، وجلست أمامها المرأة العجوز ـ فقد كانت هي الجيزيبابا[1] نفسها ـ تظهر وكأنها عاملة كئيبة. ولمّا رأته، قالت للأمير: «آه، يا ولدي! ما الذي جاء بك؟ فهنا لا طير يطير ولا حشرة تدب، ناهيك عن البشر. انج بنفسك إذا كانت حياتك غالية عليك، وإلاّ فلو جاء ابني سيلتهمك».

فتوسل الأمير: «آآآه! حلمك عليّ يا أمي العجوز، حلمك! إنما جئت إليك لطلب النصيحة في ما إذا يمكنك مساعدتي في معرفة بعض الشيء عن التل المزجج والليمونات الثلاث».

فردت عليه: «لم أسمع البتة عن التل المزجج، لكن ابقَ! عندما يعود ولدي إلى البيت، لربما يستطيع إخبارك بشيء. سأخفيك الآن في مكان ما، اخف نفسك تحت المِقَشة، وابق مختبئاً حتى أناديك».

في هذه الأثناء، تردد في الجبال صدى، واهتزت القلعة، فهمست جيزيبابا للأمير أن ابنها قادم. وقف ابن جيزيبابا عند مدخل القلعة وزمجر قائلاً: «فوه! فوه! أشم رائحة بشر عندك، سآكله!». فيما ضرب الأرض بقوة بهراوة ضخمة ضربة هزّت القلعة بأكملها.

(1) يقال إن الجيزيبابا Ježibaba تمثل الشتاء (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

فردت عليه جيزيبابا مهدئة إياه: «آه، رويدك يا بني رويدك! لقد جاء شاب وسيم يطلب مشورتك عن شيء ما».

فقال ابنها: «حسن، إذا كان يريد مشورتي، فليأت إلى هنا».

فقالت الأم: «نعم، يا ولدي، سيأتي، لكن شريطة أن تعد بعدم مسّه».

فقال الابن: «حسن، لن أمسسه بشيء، دعيه يأتي إذاً».

كان الأمير يرتعد مثل نبات الحوْر الرجراج تحت المِقَشة، لأنه كان يرى أمامه من خلال أعواد المقشة غولاً، لا يصل الأمير إلى ركبتيه. لكن من حسن حظه أن حياته صارت في مأمن، وأمرته جيزيبابا بالخروج من تحت المِقَشة. فزمجر العملاق قائلاً له: «حسن، أيها الخنفساء، لماذا أنت خائف؟ من أين أنت؟ وماذا تريد؟».

فرد الأمير: «ماذا أريد؟ لقد همت طويلاً في هذه الجبال، ولا أستطيع العثور على ما أبحث عنه. والآن جئت أسألك ما إذا كنت تستطيع إعطائي بعض المعلومات عن التل المزجج والليمونات الثلاث».

Twitter: @ketab_n

قطّب ابن جيزيبابا حاجبيه، لكن بعد برهة، قال بصوت لطيف نوعاً ما: «لا وجود هنا للتل المزجج، لكن اذهب إلى أخي في القلعة الفضية، لعله يخبرك شيئاً ما عنها. لكن ابقَ، لن أدعك تمضي وأنت جائع».

والتفت إلى أمه: «أمي، إلينا بالزُلابية!».

فوضعت جيزيبابا العجوز طبقاً كبيراً على الطاولة، وجلس ابنها الضخم، وقال بصوت هادر للأمير: «تعال وكُل!».

تناول الأمير الزلابية الأولى وأكل، لكن اثنين من أسنانه تكسرا، لان الزلابية كانت مصنوعة من الرصاص. تساءل ابن جيزيبابا: «حسن، لماذا لا تأكل؟ ألا تحبها؟».

فرد الأمير: «بلى، إنها جيدة، لكني الآن لا أريد شيئاً».

فقال العملاق: «حسن، إذا كنت لا تريد شيئاً الآن، خذ منها في جرابك، وامض في سبيلك».

فوضع الأمير - أراد أم لم يرد - في جرابه بعض زلابية الرصاص. وانطلق مغادراً.

مضى ومضى في طريقه ثلاثة أيام كاملة بلياليها، وكلما سار

Twitter: @ketab_n

أبعد، تاه في أعماق غابة كثيفة الشجر وسلسلة جبال قائمة. أمامه أماكن مهجورة، وخلفه أماكن مهجورة، فما كان هناك كائن حي واحد. وبعدما أصابه السأم الكبير من طول رحلته، ارتمى أرضاً. فرن سيفه الفضي رنة ملأت المكان. فذعر من فوقه أربعة وعشرون غراباً بسبب اصطدام سيفه، فراحت تنعب وفرشت أجنحتها وطارت في الهواء. فصاح الأمير: «علامة خير! سأذهب بالاتجاه الذي طارت إليه الغربان».

ومضى بذلك الاتجاه بأسرع ما يمكن لقدميه حتى بدت أمامه فجأة قلعة باذخة! لكنه كان بعيداً عنها، وكانت جدرانها تبرق في عينيه، فقد كانت قلعة من فضة خالصة. وبباب القلعة جلست عجوز أحنى العمر ظهرها، ظهرت كأنها تعمل بالفضة، وكانت هذه جيزيبابا. فصاحت بالأمير: «آه يا ولدي! ما الذي جاء بك إلى هنا. فهنا لا طير يطير ولا حشرة تدب، ناهيك عن البشر! ولو كانت نفسك غالية عليك، فانج بجلدك، وإلاّ فان ولدي سيلتهمك عندما يعود!».

فرد الأمير: «كلا يا أمي العجوز، سيصعب عليه أكلي. فقد جئت إليه بتحيات من أخيه في قلعة الرصاص».

فقالت الأم: «حسن، إذا كنت تحمل تحية من قلعة الرصاص،

Twitter: @ketab_n

فادخل الدار، يا ولدي، وأخبرني عماذا تبحث».

فقال الأمير: «عماذا أبحث، يا أمي العجوز؟ منذ وقت طويل وأنا أبحث عن التل المزجج والليمونات الثلاث، ولا أقدر على العثور عليها، والآن جئت اسأل عما إذا تستطيعين إخباري شيئاً عنها».

فأجابت العجوز: «لا علم لي بالتل المزجج، لكن ابقَ! فعندما يأتي ولدي، لعله يقول لك. اختبئ تحت السرير، ولا تخرج إلا حين أناديك».

في هذه الأثناء، رددت الجبال صدى صوت شديد، واهتزت القلعة، فعرف الأمير أن ابن جيزيبابا قادم.

ثم زمجر غول مرعب عند الباب: «فوه! فوه! أشم رائحة لحم بشر عندك، سآكله!». وضرب الأرض بهراوة من فضة حتى أن القلعة بأكملها اهتزت. فقالت الأم: «آه! رويدك يا ولدي رويدك، فثمة شاب وسيم جاء حاملاً تحية من أخيك في قلعة الرصاص».

فقال الغول العملاق: «حسن، إن كان في قلعة أخي و لم يفعل له شيئاً، فلا يخشى مني شيئاً، دعيه يخرج».

Twitter: @ketab_n

وثب الأمير من تحت السرير، وتوجه إليه، فبدا وهو إلى جانبه وكأنه يقف تحت شجرة صنوبر طويلة. فقال له العملاق: «حسن أيها الخنفساء، كنت في قلعة أخي؟».

فأجاب الأمير: «في الواقع، كنت هناك، وما زالت لدي الزلابية، التي أعطاني إياها لرحلتي».

فقال العملاق: «حسن، أصدقك، والآن أخبرني ماذا تريد».

فقال الأمير: «ماذا أريد؟ جئت أسألك عما إذا تستطيع إخباري شيئاً عن التل المزجج أو الليمونات الثلاث».

فقال الغول العملاق: «هممم! سمعت عن ذلك سابقاً، لكني لا أعرف كيف أدلك. في غضون ذلك، هل تعرف ماذا؟ اذهب إلى أخي في القلعة الذهبية، سيدلك عليها. لكن ابقَ الآن، لن أدعك تغادر وأنت جائع».

والتفت إلى أمه: «أمي، إلينا بالزلابية!».

فجلبت جيزيبابا الزلابية بطبق فضي كبير، ووضعته على الطاولة. فقال ابنها بصوت هادر: «كُل!». ولمّا رأى الأمير

Twitter: @ketab_n

أن الزلابية من فضة، قال إنه لا يرغب بتناول شيء الآن، لكنه سيأخذ بعضاً منها لرحلته، إذا سمح له بذلك. فقال العملاق: «خذ ما يعجبك، وبلّغ أخي وعمتي تحياتي».

أخذ الأمير الزلابية، وشكر العملاق بأدب جم، وباشر برحلته.

مرت ثلاثة أيام منذ أن غادر القلعة الفضية، وهو يهيم بلا توقف عبر جبال تغطيها غابات كثيفة، غير عارف أي طريق يسلك، إلى يمينه أم إلى شماله. وعندما تملكه الإرهاق، ألقى بنفسه تحت شجرة زان كبيرة، ليأخذ قسطاً من الراحة. فرنّ سيفه الفضي عندما اصطدم بالأرض، فملأت الرنة المكان. «كررر! كررر!» نعق قطيع من الغربان فوق رأس مسافرنا الأمير هذا، وذعرت من الضوضاء التي صدرت عن سيفه، وطارت في الهواء. صاح الأمير: «الحمد لله! القلعة الذهبية لن تكون بعيدة المنال الآن».

وانطلق قدماً متشجعاً باتجاه الطريق الذي تدله عليه الغربان. و لم يكد يخرج من الوادي ويرتقي تلاً صغيراً، حتى رأى مرجاً واسعاً جميلاً، وفي وسط المرج تقف قلعة ذهبية، كأنه كان ينظر إلى الشمس، وأمام بوابة القلعة جلست العجوز محنية الظهر،

Twitter: @ketab_n

جيزيبابا، التي بدت كأنها تعمل في القلعة الذهبية.

فصاحت بالأمير: «آه! يا ولدي! ما الذي جئت تبحث عنه هنا؟ فهنا لا طير يطير ولا حشرة تدب، ناهيك عن البشر! فإذا كانت حياتك غالية عليك، اهرب، وإلاّ فإن جاء ابني فسوف يلتهمك!».

فرد الأمير: «كلا، يا أمي العجوز، سيصعب عليه أكلي. فأنا أحمل إليه تحيات أخيه في القلعة الفضية».

فقالت العجوز له: «حسن، إذا كنت تحمل له تحيات أخيه من القلعة الفضية، تعال إلى الدار وأخبرني عما جاء بك إلينا».

فقال الأمير: «ما الذي جاء بي إليكم، أيتها الأم العجوز؟ أنا أتخبط منذ مدة طويلة في هذه السلسلة الجبلية، و لم أتمكن من العثور على مكان التل المزجج والليمونات الثلاث. فوجهوني إليكم، فلعلكم تستطيعون إخباري شيئاً ما عن ذلك».

فأجابته العجوز: «أين يقع التل المزجج؟ ما بوسعي إخبارك ذلك، لكن ابقَ! عندما يأتي ابني، سينصحك بالطريق التي عليك الذهاب بها، وما الذي عليك فعله. اختبئ تحت الطاولة، وابقَ هناك حتى أناديك».

Twitter: @ketab_n

في هذه الأثناء، رددت الجبال صدى، واهتزت القلعة، وظهر ابن جيزيبابا في باب الدار. فزمجر: «فوه! فوه! أشم رائحة لحم بشر، سأكله!».

وبقي واقفاً في الباب يضرب بهراوة من ذهب الأرض ضرباً اهتزت منه القلعة بأكملها. فردت عليه جيزيبابا مهدئة: «لطفك، يا ولدي، لطفك! ثمة شاب وسيم جاء حاملاً لك تحيات من أخيك في القلعة الفضية. فإذا أنت لن تمسسه بضرر، سأناديه في الحال».

فقال العملاق: «حسن، إذا كان أخي لم يفعل له شيئاً، فأنا أيضاً لن أفعل له شيئاً». وخرج الأمير من تحت الطاولة ووقف أمامه، فبدا وكأنه وقف بجانب برج عال، وأراه الزلابية الفضية كعلامة على أنه كان فعلاً في القلعة الفضية. فقال الغول الجبار بصوت هادر: «حسن، أخبرني، أيها الخنفساء، ماذا تريد! لو أستطيع نصحك، فسأنصحك، لا تخف!».

ثم راح الأمير يشرح له هدف رحلته الطويلة، وتوسل إليه أن يدله على الطريق الذي يمضي فيه ليصل إلى التل المزجج، وماذا عليه أن يفعل كي يحصل على الليمونات الثلاث.

Twitter: @ketab_n

فقال الغول: وهو يؤشر بهراوته الذهبية: «أترى تلك الهضبة السوداء التي تلوح هناك؟ ذلك هو التل المزجج، وعلى قمة التل توجد شجرة، ومن الشجرة تتدلى ثلاث ليمونات، ينتشر عطرها إلى بعد سبعة أميال حولها. عليك ارتقاء التل المزجج، وأن تجثو تحت الشجرة، وتمد يديك، فإذا كانت الليمونات مقدّرات لك، ستسقط بين يديك من تلقاء نفسها، لكن إن لم تكن مقدرة لك، فلن تقطفها مهما فعلت. وعندما تعود أدراجك، وتشعر بالجوع أو العطش، اقطع إحدى الليمونات إلى نصفين، وسوف تأكل وتشرب حتى تشبع. والآن اذهب، وليكن الرب معك! لكن ابقَ، لن أدعك تمضي وأنت جائع. يا أمي، إلينا بالزلابية!».

فوضعت جيزيبابا طبقاً ذهبياً كبيراً على الطاولة. وقال ابنها: «كل! أو إذا كنت لا تريد الأكل الآن، ضع بعضاً منها في جرابك، ستأكلها في الطريق».

لم تكن لدى الأمير رغبة بالأكل، لكنه وضع بعض الزلابية في جرابه، قائلاً إنه يريد أكلها في الطريق. وشكر الغول بأدب على كرمه ونصحه، وانطلق في طريقه.

انطلق يغذ السير برشاقة من تل إلى وادٍ، ومن وادٍ إلى تل نَضِر،

Twitter: @ketab_n

و لم يتوقف البتة حتى وصل إلى تحت التل المزجج المطلوب عينه. وهناك وقف متسمراً وكأنه استحال إلى صخر. كان التل عالياً زلقاً، وما كان فيه أي صدع. وفي قمته انتشرت أغصان شجرة عجيبة، ومن الشجرة تدلت ثلاث ليمونات، يفوح منها عبق قوي كاد الأمير يصاب بدوار منه. فقال في نفسه: «ليساعدني الرب! الآن ما كُتِبَ سيكون. وما دمت أنا هنا الآن، سأبذل جهدي على أي حال».

وبدأ يصعد الزجاج الناعم، لكنه كلما صعد بمشقة مقدار ذراع انزلقت أقدامه و»بُب!» انحدر من التل ولا يعرف أين هو من المكان، أو ماذا حدث حتى يجد نفسه على الأرض في الأسفل. وبعد أن أخذه الإرهاق، بدأ يرمي قطع الزلابية، ظناً منه أن ثقلها يعيقه. فرمى الأولى، و..». تن!» التصقت بالتل المزجج. ورمى ثانية وثالثة، فرأى أمامه ثلاث درجات، يستطيع صعودها بسلامة. ففرح الأمير فرحاً كبيراً. وصار يلقي بقطع الزلابية أمامه، وفي كل مرة يلقي فيها قطعة زلابية تتشكل أمامه درجة. أولاً رمى الرصاصية، ثم الفضية، وأخيراً الذهبية. وهكذا تشكلت درجات ارتقاها حتى وصل فرحاً إلى أعلى قمة التل المزجج. وهنا ركع تحت الشجرة ومد يديه. و... «تن!»

Twitter: @ketab_n

سقطت الليمونات الرائعة الثلاث من تلقاء نفسها في راحتيه. ثم توارت الشجرة، وتحطم زجاج التل واختفى، وعندما انتبه الأمير إلى نفسه، لم تكن هناك شجرة، ولا تل، إنما سهل يمتد فسيحاً أمامه.

شرع بطريق عودته إلى دياره مغتبطاً. وأخذ منه الجوع كلّ مأخذ حتى إنه ودَّ لو تناول الزلابية الرصاصية لو كانت في جرابه. لكن جرابه كان فارغاً، وكل ما حوله أجرد كراحة يده. فعمد إلى إخراج ليمونة من جرابه وقطعها إلى نصفين، فما الذي حدث؟ انبثقت من الليمونة فتاة جميلة، انحنت بتبجيل أمامه، وصاحت: «هل أعددت طعاماً لي؟ هل أعددت شراباً لي؟ هل أعددت ملابس لطيفة لي؟». فقال الأمير بصوت حزين: «ما عندي شيء، أيتها المخلوقة الرائعة، لأطعمك إياه، وما عندي شيء لأسقيك إياه، وما عندي شيء ألبسك إياه».

فصفقت الفتاة الجميلة كفيها البيضاوين مرتين أمامه، وانحنت انحناءة تقدير واختفت.

فقال الأمير: «آها! عرفت الآن أي ليمونات هذه، لتبقى البقية! لن أقطعها بلا مبالاة».

Twitter: @ketab_n

وأكل وشرب من الليمونة التي قطعها حتى شبع، وتجددت قواه، ومضى قدماً في سبيله.

لكن في اليوم الثالث اعتراه جوع أشد من السابق بثلاثة أضعاف. فقال: «ليساعدني الرب! ستبقى لدي واحدة. سأقطعها».

فأخذ الليمونة الثانية، وقطعها إلى نصفين، و«هُب!» ظهرت أمامه فتاة أجمل من الأولى. وقالت له: «هل أعددت طعاما لي؟ هل أعددت شرابا لي؟ هل أعددت ملابس لطيفة لي؟».

فقال الأمير «ما عندي شيء، أيتها الروح العزيزة، ما عندي!».

فصفقت الفتاة الجميلة يديها مرتين أمامه، وانحنت انحناءة تقدير واختفت.

بقي لديه الآن ليمونة واحدة، فأخذها بيده وقال: «لن أقطعك وسأبقيك حتى نصل إلى دار أبي». ومضى بطريقه. وفي اليوم الثالث رأى، بعد هذا الغياب الطويل، مدينته التي ولد فيها. و لم يعرف كيف وصل إليها، لكنه وجد نفسه فجأة في قلعة أبيه. بللت دموع الفرح وجنتي والده العجوز وصاح: «مرحباً

Twitter: @ketab_n

يا ولدي! ألف مرحباً». وألقى بنفسه عليه محتضناً إياه. وقص الأمير ما حدث معه في رحلته، وحكى أهل القصر له كيف أنهم كانوا ينتظرون بقلق أخباراً منه.

في اليوم التالي، أُعّد حفل كبير، دعي إليه لوردات وسيدات من الأصقاع كلها، وهيأوا ملابس جميلة، موشاة بذهب ومرصعة بلآلئ. حضر اللوردات والسيدات وأخذوا أماكنهم من الطاولات، وانتظروا يترقبون ما سيحدث. أخرج الأمير آخر الليمونات، وقطعها إلى نصفين، فانبثقت من الليمونة سيدة أجمل بثلاثة أضعاف من السيدتين السابقتين. فقالت له: «هل أعددت طعاماً لي؟ هل أعددت شراباً لي؟ هل أعددت ملابس لطيفة لي؟».

فأجابها الأمير: «لقد أعددت كل شيء لك، أيتها الروح العزيزة».

وقدّم لها الملابس الرائعة. فوضعت الفتاة الجميلة الملابس الزاهية عليها، ودهش الجمع بجمالها الأخاذ. فأقيم حفل خطوبة كبير، وبعد الخطوبة أقيم حفل زفاف بهي.

وها هي أمنية الملك العجوز تحققت، فبارك لابنه، ووضع المملكة بين يديه، ثم توفي بعد مدة.

Twitter: @ketab_n

أول شيء حدث للملك الجديد بعد وفاة والده هو الحرب، حيث حُرِّض ملك مملكة جارة ضده. وأُجبر للمرة الأولى على مفارقة زوجته التي نالها بشق النفس. ومخافة أن يحدث لها شيء بغيابه، أمر أن يقام لها عرش في حديقة إلى جانب بحيرة، لا يتمكن أي أحد من ارتقائه سوى الشخص الذي ترمي له بحبل من حرير وتسحب ذلك الشخص إليها.

كانت على مسافة ليست بالبعيدة من القلعة الملكية تعيش امرأة عجوز، هي نفسها التي أشارت على الأمير بالليمونات الثلاث. وكانت لدى العجوز خادمة غجرية، اعتادت أن ترسلها لجلب الماء من البحيرة. كانت تعرف جيداً أن الملك الشاب حصل على زوجة، وأزعجها كثيراً أنه لم يدعها إلى الزفاف، بل إنه حتى لم يتذكرها على طيب نصحها.

وفي أحد الأيام، أرسلت خادمتها إلى البحيرة لتجلب ماء. فذهبت الخادمة، وراحت تسقي، فرأت صورة جميلة على صفحة الماء. فظنت أنها انعكاس لوجهها، فضربت جرتها بالأرض وتكسرت ألف قطعة. وقالت: «هل تستحقين ذلك، واحدة بجمالي تحمل الماء إلى عجوز شمطاء؟».

Twitter: @ketab_n

وفيما هي تلفظ هذه الكلمات نظرت إلى الأعلى، و... «بُب!» لم تكن صورتها تلك التي رأتها على صفحة الماء، بل صورة ملكة جميلة. فاستحت، ولملمت قطع الجرة وعادت إلى البيت. أما العجوز، التي علمت مسبقاً بما جرى، فاستقبلت خادمتها بجرة جديدة، وراحت تسألها، بقصد واضح، عما حدث معها. فقصت عليها الخادمة كل شيء كما حدث. فقالت العجوز: «حسن، لا يهم! لكن أتعرفين ماذا تصنعين؟ عودي إلى البحيرة، واطلبي من السيدة أن ترمي إليك بالحبل الحريري وترفعك إليها، بعد أن تعديها بترتيب شعرها وتمشيطه. وعندما ترفعك إليها، مشطي شعرها، وعندما تغفو، اغرزي هذا الدبوس برأسها. ثم ارتدي ملابسها وخذي مكانها وكأنك الملكة».

لم تحتج الغجرية إلى المزيد من الإقناع كي تفعل ذلك، فأخذت الدبوس، وتناولت الجرة، وعادت إلى البحيرة. وسقت الماء ونظرت إلى الملكة الجميلة. وصاحت وهي تنظر إلى عينيها وتقوم بحركات متملقة: «فدتك نفسي! كم أنت حلوة! آه! أنت حلوة!».

فردت الملكة: «نعم».

فقالت الغجرية: «وستكونين أجمل مئات المرات لو تركتني

Twitter: @ketab_n

أرتب لك شعرك وأمشطه، ولسوف أجعل هذه الخصل الذهبية ضفائر تسعد سيدك سعادة كبيرة». وراحت تثرثر بهذا النحو، وتتملق، حتى أنزلت الملكة لها الحبل الحريري ورفعتها إلى الأعلى.

راحت الغجرية الشريرة تمشط الشعر الذهبي وتفصل خصلاته وتضفرها حتى غفت الملكة ونامت. عندها استلت الغجرية الدبوس، وشكّته برأس الملكة النائمة. وفي تلك اللحظة طارت حمامة بيضاء جميلة من العرش الذهبي، ولم يبق من الملكة المحبوبة شيء سوى ملابسها الرائعة، فسارعت الغجرية لارتدائها، وأخذت مقعدها في القصر حيث كانت تجلس، وتتطلع في البحيرة، لكن ما عاد انعكاس الصورة الجميلة يظهر في البحيرة، فالغجرية حتى وإنْ ارتدت ملابس الملكة ظلت غجرية.

نجح الملك الشاب بالتغلب على أعدائه، فأقام السلام معهم. ولم يكد يصل إلى المدينة حتى توجه إلى الحديقة ليلتقي غاليته، ويطمئن إلى حالها. لكن مَنْ هذا الذي يستطيع وصف ذهوله ورعبه، عندما شاهد غجرية بائسة بدلاً عن مليكته الجميلة. فتنهد والدموع تبلل وجنتيه: «آه، يا عزيزتي، يا غاليتي، كيف

Twitter: @ketab_n

صرت بهذا الحال!».

فأجابته الغجرية: «لقد تغيرت، يا حبيبي! تغيرت من قلقي عليك وعذابي لغيابك». وأرادت أن تلقي بنفسها عليه، لكن الملك أشاح عنها وغادر غاضباً.

منذ ذلك الوقت والملك الشاب لا يستقر ولا يعرف للراحة طعماً، ولا نهاراً من ليل، يأكله الأسى على ضياع جمال زوجته، وما من شيء يهدئه.

وفي أحد الأيام، بينما يتمشى مضطرباً مكتئباً في الحديقة. اتفق أن نقل خطواته، فطارت حمامة بيضاء جميلة من شجرة عالية وحطت على يده، ونظرت نظرة حزينة بعينيه الدامعتين. فقال الملك الشاب لها وهو يمسّد برفق رأسها وظهرها: «آخ، يا حمامتي! لِمَ أنت بهذا الحزن الشديد؟ هل تحوّل زوجك مثلما تحولت زوجتي؟».

لكنه شعر بوجود شيء كأنه نتوء في رأسها، فرفع الريش، وماذا رأى؟ شاهد رأس دبوس! فاعترت الملك شفقة كبيرة، ونزع الدبوس من رأسها، وفي تلك اللحظة تغيرت الحمامة الجميلة الحزينة إلى زوجته الجميلة. وروت له ما حدث لها كله،

Twitter: @ketab_n

وكيف حدث ذلك، وكيف خدعتها الغجرية، وكيف شكّت الدبوس برأسها. فأمر الملك في الحال بالقبض على الغجرية والعجوز وحرقهما بلا ضجة.

ومنذ ذلك الحين لم تعكر سعادته شائبة، لا قوة أعدائه، ولا ضغينة أناس أشرار. وعاش مع زوجته الجميلة بسلام وحب، وعمّ مملكته الازدهار، وما زال، إذا كان حتى الآن على قيد الحياة.

Twitter: @ketab_n

حصان الشمس

كان هناك في أحد الأزمان بلد حزين كئيب لم تشرق عليه الشمس قطّ. لكن كان يحكمه ملك، ولدى هذا الملك حصان في جبينه شمس، وكان الملك يقود حصان الشمس هذا في ظلام البلد، من أقصاه إلى أقصاه، كي يتمكن الناس من العيش هناك، حيث كان النور يشع منه فينتشر في الاتجاهات كلها حيثما اقتاده، ويغدو البلد وكأنه في أجمل نهار.

وذات مرة اختفى الحصان فجأة. وخيم ظلام مدلهم على البلاد بأكملها، وما كان شيء يزيحه البتة. وانتشر رعب لم يسمع به إنسان بين الرعية، وبدأ بؤس مريع يعصف بهم، إذ لم يقدروا على صناعة شيء يذكر ولا أن يتعلموا شيئاً قطّ، وعمّ هرج ومرج بينهم قلب كل شيء رأساً على عقب. لذا، وكي يحرر مملكته ويمنع دمارها التام، استعد للبحث عن فرس الشمس بجيشه كله.

Twitter: @ketab_n

شق طريقه بكل جهده في الظلام الكثيف الدامس إلى حدود مملكته. ومن وراء الجبال المحتشدة منذ آلاف السنين، ابتدأ نور يبزغ الآن من بلاد أخرى، كما شمس صباح تشرق مخترقة ضباباً كثيفاً. وعلى أحد تلك الجبال وصل الملك بجيشه إلى كوخ فقر منعزل. فمضى ليعرف مَنْ فيه، وما هو، وكيف حدث أن بُني هنا. على طاولة في الكوخ، جلس فلاح، دائب على القراءة في كتاب مفتوح. ولما انحنى الملك عليه، رفع عينيه، وشكره، وجلس عند قدميه. كان كل شيء فيه يُعلن أنه ليس بشراً كباقي البشر، إنما هو عرّاف.

فقال للملك: «كنت أقرأ للتو عنك. وكيف أنك تسعى وراء حصان الشمس. لا تمضي أكثر، فأنت لن تحصل عليه، لكن اعتمد عليَّ: سأجده لك».

فرد عليه الملك: «وأنا أعدك، أيها الرجل الطيب، أني سوف أكافئك مكافأة ملكية، إنْ أنت أتيت به إلى هنا».

فقال الرجل: «لا أطالبك بمكافأة، عُد إلى ديارك بجيشك ـ فأنت مطلوب أن تكون هناك، واترك لي خادماً واحداً فحسب».

Twitter: @ketab_n

في اليوم التالي، انطلق العرّاف مع الخادم. وسارا بعيداً وطويلاً، وعبرا ستة بلدان، ومضيا في طريقهما، حتى وصلا البلد السابع، فتوقفا عند القصر الملكي. كان يحكم البلد السابع هذا ثلاثة إخوة، متزوجون بثلاث أخوات كانت أمهن ساحرة. وعندما وقفا قبالة القصر، قال العرّاف لخادمه: «أتسمع؟ أنت تظل هنا، وسوف أمضي أنا لأتأكد مما إذا كان الملوك موجودين في بيتهم، فحصان الشمس في حوزتهم ـ وأصغرهم يمتطيه».

بعد ذلك مباشرة حوّل نفسه إلى طائر أخضر، وطار إلى سطح مَخدَع الملكة الأكبر سناً، وراح يحلق صعوداً وهبوطاً ناقراً إياه حتى فتحت الشباك وتركته يدخل مخدعها. وعندما سمحت له بالدخول، حطّ بيدها البيضاء، فسُرّت به كأنها طفلة صغيرة. وقالت: «آ... يا لك من مخلوق محبوب!». وراحت تلعب معه وتقول: «لو كان زوجي في البيت، لفرح بك، لكنه لن يأتي إلاّ عند حلول المساء، فقد ذهب لزيارة الإقليم الثالث من بلاده».

وفي هذه الأثناء جاءت الساحرة العجوز إلى الغرفة، ولمّا رأت الطائر، صاحت بابنتها: «انزعي منقار هذا الطائر البغيض، لأنه ينقرك ويدمي يديك!».

Twitter: @ketab_n

فأجابت ابنتها: «حسن، وماذا إنْ هو أدمى يدي! انه طائر محبوب، انه طائر برئ محبوب!».

لكن الساحرة قالت: «طائر برئ محبوب! هذا! دعيني أنزع منقاره!»، وانقضت عليه. لكن الطائر حوّل نفسه ببراعة إلى رجل، و... «بُب!» خرج من الباب، و لم تعرفا إلى أين ذهب.

بعد حين، حوّل نفسه ثانية إلى طائر أخضر، وطار إلى مخدع الأخت الوسطى، وراح ينقره حتى فتحت نافذتها له. وتركته يدخل ويقف على يدها البيضاء، ويرفرف بجناحيه قافزاً من يدها هذه إلى يدها الأخرى. فصاحت الملكة مبتهجة: «أوه، يا لك من مخلوق محبوب! سيُسَّر زوجي أيضاً بك لو كان في البيت، لكنه لن يعود إلاّ مساء الغد، فقد ذهب لزيارة ثلثي مملكته».

وفي تلك الأثناء، اندفعت الساحرة إلى الغرفة. وحالما لمحته صاحت: «انزعي منقار هذا الطائر البغيض! انزعي منقاره، لأنه ينقرك ويدمي يديك!».

فردت ابنتها: «حسن، وماذا إنْ هو أدمى يدي! إنه طائر لطيف، إنه طائر برئ لطيف!».

Twitter: @ketab_n

إلاّ أن الساحرة قالت: «موذ بريء لطيف! هذا! دعيني أنزع منقاره!».

وراحت تحاول إمساكه. لكن في هذه اللحظة، قلب الطائر الأخضر نفسه إلى رجل، وركض خارجاً من الباب، واختفى، بصفقة يد، و لم تعرفا إلى أين ذهب.

بعدها بقليل، قلب نفسه مرة أخرى إلى طائر أخضر وحلّق إلى مَخدَع الملكة الصغرى، وراح يطير إلى الأعلى والى الأسفل ناقراً السطح حتى فتحت له النافذة. وتركته يطير ويحط مباشرة على يدها البيضاء، وجعل يحبب نفسه إليها حتى راحت تلعب معه بفرح طفلة. وقالت الملكة: «لو كان زوجي هنا لسُرَّ بك، لكنه لن يعود إلاّ بعد غد، فقد ذهب لزيارة أقاليم مملكته الثلاثة كلها».

عند هذه اللحظة، جاءت الساحرة إلى الغرفة. فصاحت وهي في الباب: «انزعي، انزعي منقار هذا الطائر البغيض! لأنه ينقرك ويدميك».

فأجابت ابنتها: «حسن، وماذا إنْ أدماني، يا أمي؟ إنه غاية في الجمال، غاية في البراءة».

Twitter: @ketab_n

فقالت الساحرة: «مؤذ جميل بريء! هذا! دعيني أنزع منقاره!». لكن في هذه اللحظة قلب الطائر نفسه إلى رجل، و... «بُب!» خرج من الباب، واختفى عن ناظريهما.

والآن عَلِمَ العرّاف بمكان وجود الملوك، ومتى سيعودون. فمضى إلى خادمه وأمره باتباعه إلى المدينة. وهكذا مضيا بسرعة الخطى مسرعين إلى أن وصلا إلى جسر، حيث يضطر الملوك إلى المرور عليه عند عودتهم.

وبقيا تحت الجسر ينتظران حتى المساء. وحتى عندما كانت الشمس تغرق خلف الجبال، كان صهيل حصان يُسمَع على مقربة من الجسر. فقد كان الملك الأكبر في طريق عودته إلى بيته. وعلى مسافة قريبة من الجسر تعثر جواده بساق شجرة، كان العرّاف قد رماه على الجسر. فتعجب الملك غاضباً: «ها! أي وغد هذا الذي رمى جذع الشجرة في الطريق؟».

عندها برز العرّاف من تحت الجسر وانقض على الملك لتجرؤه على وصفه بالوغد، ممتشقاً سيفه وهجم عليه. فاستلّ الملك أيضاً سيفه للدفاع عن نفسه، لكن بعد مبارزة قصيرة خرّ ميتاً عن ظهر جواده. رفع العرّاف الملك القتيل

Twitter: @ketab_n

على حصانه، وساط الحصان بالسوط ليجعله يذهب بسيده القتيل إلى البيت. ثم انسحب تحت الجسر، وانتظرا هناك حتى مساء اليوم اللاحق.

عندما مال النهار مرة أخرى نحو المساء، وصل الملك الأوسط إلى الجسر، وعندما شاهد الأرض ملطخة بالدم، صاح «قُتل أحدهم هنا! مَنْ هذا الذي تجرأ على ارتكاب جريمة كهذه في مملكتي؟». وما إن نطق بهذه الكلمات حتى برز العرّاف من تحت الجسر وانقض على الملك رافعاً سيفه: «كيف تجرؤ على شتمي؟ دافع عن نفسك بأفضل ما يمكنك!».

دافع الملك عن نفسه، لكن بعد صراع وجيز سقط صريعاً تحت ضربات سيف العرّاف. ومرة ثانية، ثبّت العرّاف جثته فوق الحصان، وضربه بالسوط ليجعله يحمل سيده المقتول إلى البيت. ثم انسحبا إلى تحت الجسر وانتظرا حتى جاء المساء الثالث.

في المساء الثالث، وفي وضح الشمس نفسه، كان الملك الشاب يندفع على حصان الشمس، يندفع بسرعة، لأنه كان متأخراً بعض الشيء، لكنه عندما شاهد الدم عند صدر الجسر، توقف، وحملق فيه وصرخ: «شرير لم يُسمع به ذاك الذي قتل رجلاً في مملكتي!». ولم يكد فمه ينطق بهذه الكلمات حتى

Twitter: @ketab_n

وقف العرّاف أمامه مستلاً سيفه، داعياً إياه ليدافع عن نفسه «لأنك أهنت شرفي».

فأجابه الملك: «لا أعرف كيف. إلا أنك هو الشرير».

لكن ما دام خصمه هاجمه بالسيف، استل هو أيضاً سيفه، ودافع عن نفسه ببسالة.

كان الأمر مجرد لعبة بالنسبة للعرّاف في التغلب على الملكيْن الأوليْن، لكنه لم يكن كذلك مع هذا الملك. تقاتلا طويلاً، وتكسر سيفاهما، ولم يبدُ النصر لائحاً في هذا الجانب أو الجانب الآخر. فقال العرّاف: «لن نحسم الأمر بالسيوف. لكن أتعرف ما العمل؟ دعنا نحول نفسينا إلى دولابين ونبدأ بالنزول من التل، والدولاب الذي ينكسر سيكون هو الخاسر».

فقال الملك: «جيد! سأكون عجلة عربة، وأنت ستكون عجلة خفيفة».

فقال العرّاف بمكر: «ليس كذلك، أنت ستكون عجلة خفيفة، وأنا عجلة عربة»، فوافق الملك على ذلك. ثم صعدا التل، وحولا نفسيهما الى عجلتين، وبدآ بالانحدار. وطارت

Twitter: @ketab_n

عجلة العربة إلى قطع، و... «بُنغ!» تماماً نحو العجلة الخفيفة حتى تحطمتا كلتيهما. وفي الحال نهض العراف من عجلة العربة وصرخ مبتهجاً: «انظر ما أنت فيه، أنا المنتصر!».

فصاح الملك واضعاً نفسه أمام العرّاف: «ليس كذلك البتة، أيها السيد الأخ، لقد كسرت أصابعي فقط. لكن أتعرف ما العمل الآن؟ دعنا نحول نفسينا إلى ناريْن، والنار التي تحرق الأخرى ستكون هي المنتصرة. من ناحيتي، سأجعل نفسي ناراً حمراء، وأنت تجعل نفسك ناراً زرقاء».

فقاطعه العرّاف: «ليس كذلك! أنت تجعل نفسك ناراً زرقاء، وأنا سأحول نفسي إلى حمراء».

فوافق الملك على ذلك أيضاً. ومضيا في طريقهما إلى الجسر، وحولا نفسيهما إلى نارين راحت الواحدة تحرق الأخرى بلا رحمة. وتحارقا وقتاً طويلاً، لكن لم ينتج عن ذلك شيء. بعد ذلك، مرَّ مصادفة متسول طاعن في السن له لحية رمادية طويلة، أصلع الرأس، يعلق بجنبه كيساً طويلاً، تبدو عليه البلادة. فقالت النار الزرقاء: «أيها الشيخ! اجلب بعض الماء وأخمد هذه الشعلة الحمراء، وسأعطيك فلساً على ذلك».

Twitter: @ketab_n

فصاحت الشعلة الحمراء بمكر: «أيها الشيخ! سأعطيك ديناراً إنْ أنت صببت الماء على الشعلة الزرقاء».

فضّل الشحاذ الدينار على الفلس، وجلب ماءً وأخمد الشعلة الزرقاء. وانتهى كل شيء بالنسبة للملك. وحولت النار الحمراء نفسها إلى رجل تناول حصان الشمس من لجامه، وركب على ظهره، ونادى على خادمه، وشكر الشحاذ على الخدمة التي قدمها، وانطلق بطريقه.

في القصور الملكية، كان هناك حزن عميق على مقتل الملكين، واكتست القصور بأكملها برايات سود، واحتشد فيها ناس من الأصقاع كلها يحدقون بجسدي الأخوين الكبيرين المقطعين المبضّعين، اللذين جاء بهما حصاناهما إلى البيت. أما العجوز الساحرة، التي استشاطت غضباً على مقتل نسيبيها، فقد ابتكرت خطة للانتقام من قاتلهما، العرّاف. إذ جلست بسرعة على مِدمة[1] حديدية، ووضعت بناتها الثلاثة تحت ذراعيها، و... «بُب!» طارت بهن في الهواء.

كان العرّاف وخادمه قد قطعا مسافة لا بأس بها من رحلتهما، وعبرا جبالاً قفراً، لا شجر فيها يرى. وهنا تملك الخادم جوع

(1) المدمة: أداة ذات أسنان لجمع العشب أو تقليب التربة(م).

Twitter: @ketab_n

فظيع و لم يكن هناك حتى برقوق بري ليهدئ جوعه. وفجأة وصلا إلى شجرة تفاح. كان التفاح يتدلى منها، بل إن الأغصان كانت تتكسر من فرط ثقل التفاح، وتنبعث منها رائحة شذيّة، وحمرتها بهيجة إلى درجة أنها تدعوك لتأكلها.

صاح الخادم مسروراً: «الحمد لله! سآكل تفاحة واحدة بشهية كبيرة».

فصاح العرّاف به: «إياك أن تقطف واحدة منها! انتظر، سأقطف لنفسي بعضاً منها».

لكن بدلاً من قطف التفاح بيده، شهر سيفه وطعن شجرة التفاح بقوة، فسال منها دم أحمر. وقال: «كنت لتضر بنفسك لو أكلت أياً من هذا التفاح، لأن شجرة التفاح هي الملكة الكبرى، وضعتها أمها هنا لتقضي علينا».

ومضى وقت عليهما في رحلتهما حتى وصلا إلى نبع ماء، كان ماؤه صافياً وكأن فقاعاته بلور ينبجس منه، وينسكب على جوانبه فيجذب عابري السبيل. فقال الخادم: «آه! إنْ لم نستطع الحصول على أي شيء أفضل، فدعنا على أي حال نشرب من هذا الماء العذب».

Twitter: @ketab_n

فصرخ به العرّاف: «إياك أن تشرب منه! ابقَ وسآتي لك بشيء منه».

لكنه لم يتناول أي شيء من الماء، بل غرز سيفه في وسطه، فاصطبغ من فوره بالدم، الذي أخذ يسيل منه بدفقات قوية.

فقال العرّاف: «هذه الملكة الوسطى، وضعتها أمها هنا لتقضي علينا».

فشكره الخادم على تحذيره له، ومضى في طريقه، شاء أم أبى، جائعاً عطشاً، إلى حيث يقوده العرّاف.

ومر وقت ووصلا إلى أجمَة ورد، تكتسي بحمرة زهور بهيجة، تملأ الهواء بعطرها. فقال الخادم: «آه، كم هي جميلة هذه الورود! لم أرَ في حياتي مثل روعتها. سأذهب لأقطف بعضاً منها، ففي كل الأحوال سأريح نفسي بها إنْ لم يكن بإمكاني سد جوعي وعطشي».

فصرخ العرّاف: «إياك أن تقطف منها! سأقطف لك أنا منها».

وراح يقطع الأجمة بسيفه، فتدفق دم أحمر، كأنه قطع من وريد إنسان.

Twitter: @ketab_n

فقال العرّاف لخادمه: «هذه الملكة الصغرى، وضعتها أمها الساحرة هنا بقصد الثأر منا على مقتل نسبائها».

ومضيا في طريقهما.

عندما عبرا حدود المملكة المظلمة، انبثقت ومضات من جبين الحصان في كل صوب، وعادت الحياة مرة أخرى لكل شيء، وابتهجت الديار وتفتحت بزهور الربيع. لم يعرف الملك كيف يشكر العراف شكراً يفيه حقه، وعرض عليه نصف مملكته هدية، لكن العراف أبى. وقال: «أنت أيها الملك تحكم المملكة بأكملها، وأنا سوف أعود إلى كوخي لأعيش بسلام».

Twitter: @ketab_n

الغزّالة الذهبية

في مكان بعيد وراء البحر الأحمر، كان ثمة نبيل شاب. وعندما كبر جسمه وعقله، فكّر في نفسه أنْ ليس من السوء أن يطلع المرء على ما حوله في العالم ليجد فيه زوجة لطيفة، سيدة طيبة تصون بيته. فرأى أن قراره هذا هو قرار صائب ومضى فيه.

فذهب يجوب بلدان الدنيا، لكن لم يجد تلك التي تمناها. وفي نهاية المطاف قادته خطاه إلى بيت أرملة، لها ثلاث بنات، كلهن عذراوات. كانت الأختان الكبريان نشطتين نشاط دبابير في العمل، لكن أصغرهن، واسمها هانكا، كانت مثل طائر ثقيل في أي شيء تريد فعله. فعندما جاءهم السيد النبيل في وقت الغزل انتابه الذهول. وقال في نفسه: «كيف هذا أن هانكا تستطيع النوم عند ركن المدخنة، فيما الأختان الأخريان تنهمكان بعمل واجباتهن؟».

فقال للأم: «لكن أيتها السيدة الكبيرة، أخبريني لِمَ لا تجعلين تلك تعمل، كحالهما، وتعمل بغزلها؟ فهي فتاة ناضجة تماماً، ولعلها تسلّي نفسها بالعمل».

Twitter: @ketab_n

فردت الأم: «آه! أيها السيد الشاب، أود من كل قلبي أن اجعلها تغزل، وبودي أن أشغلها بالغزل، لكن ماذا بعد ذلك؟ فهي غزّالة لا مثيل لها، إذ تغزل منذ الصباح ليس مواد غزلنا كلها وحسب، إنما حتى قش السقف كله، وذلك كله تحوله إلى خيوط ذهبية، كلا، فهي في نهاية الأمر تعمد إلى غزل شعري الأشيب، لذا أنا مجبرة على تركها بلا عمل».

فقال الخاطب السعيد: «إذا كان الأمر كذلك، وبمشيئة الرب، فيمكنك منحها لي زوجة. فأنت ترين أن لدي بيتاً لطيفاً ـ فيه كتان وقنّب، وأكوام من نُسالة الكتان من أنواع ناعمة وعادية، وبمقدورها أن تمضي بغزلها بأبعد ما يرضي قلبها». إزاء هذا الكلام، لم تأخذ العجوز وقتاً طويلا لتفكر، حتى استيقظت هانكا من نومها. وقدمن للعريس منديلاً جميلاً بلون الزيتون وضعنه في صدر ملابسه، وزينه بالزهور وأممن حفل الزواج في مساء ذلك اليوم. وشعرت الغزّالتان الأخريان بالخيبة إزاء حسن حظ هانكا، لكنهما في النهاية فرحتا لها، وتمنيتا أن تحصلا هن أيضاً على خواتم زواج في أصابعهن[1].

والآن صار لمعطلة اليد هذه، كما كن يلقبن هانكا، زوج. وفي

(1) حرفيا «متمنيات أن توضع عليهن أكاليل الزهر(م).

Twitter: @ketab_n

اليوم التالي، أمر عريسنا الشاب بتجهيز خيوله، وعندما استعد الجميع، وضع العروس الباكية إلى جانبه بعربة أنيقة، ومد يده إلى نسيبته، وقال: «وداعا!» لأختي العروس، وغادرا القرية.

لحسن حظها أم لسوئه! جلست المسكينة هانكا إلى جانب زوجها الشاب حزينة باكية، كأن الدجاج أكل خبزها كله. كان يتكلم معها بما فيه الكفاية، لكن هانكا ظلت صامتة صمت سمكة. فقال لها: «ما قصتك؟ لا تخافي. ففي بيتي لن يكون هناك نوم. سأعطيك كل ما يرغب به قلبك. سيكون لديك كتان وقنّب، ونُسالة كتان ناعمة وخشنة تكفي طوال الشتاء، وحصلت على مخزن تفاح من أجل أن يكون في فمك لعاب[1]».

لكن صاحبتنا هانكا كانت تزداد حزناً كلما تقدما بطريقهما. ووصلا في المساء إلى قلعة النبيل الشاب، فنزلا من العربة، وبعد العشاء، اصطحب سيدة المستقبل إلى غرفة كبيرة ما فيها شيء سوى مواد غزل تملؤها من السقف إلى الأرض. فقال لها: «حسن، لديك هنا فلكة مغزل، ووشيعة، وحلق غزل، وتفاح وردي وبعض البازلاء للعاب ـ باشري الغزل! وإذا نسجت هذا كله، في الصباح، إلى خيوط ذهبية، سنكون زوجاً وزوجة في

(1) يحتاج الغزّال إلى تبليل خيوط الغزل، لذلك فهو يعمد إلى أكل التفاح(م).

Twitter: @ketab_n

الحال، وبخلاف ذلك سآمر بقتلك بلا ضجة». ثم خرج النبيل الشاب وترك الغزّالة لتغزل. وعندما وجدت هانكا نفسها وحدها، لم تجد لنفسها مقعداً تحت فلكة المغزل، لأنها لم تكن حتى تعرف كيف تبرم الخيوط، فراحت تتحسر: «يا إلهي! يا ربي! جئت إلى هنا للخزي والعار! لماذا لم تعلمني أمي العمل والحياكة مثل أُختيَّ؟ لكنت الآن مرتاحة بسلام في البيت، لكن هذا هو الحال، فأي مخلوق آثم أنا، سأموت ميتة بائسة».

وفيما كانت تعبر عن مشاعرها بهذا النحو، انفتح الجدار فجأة، وظهر أمام هانكا المرتعبة قزم صغير على رأسه قبعة حمراء ومئزر يلف خصره، ويدفع بيديه عربة ذهبية. فسأل هانكا: «لماذا تغرق عيناك بالدمع هكذا؟ ما الذي حدث لك؟».

فأجابته: «هذا هو الحال، يا لشقاء نفسي، وما بودي البكاء. تصوَّر، أمروني بغزل مواد الغزل هذه كلها بخيوط ذهبية في الصباح، وإن لم أفعل، سيقتلونني ولا يقيمون لي عزاء. يا إلهي! يا ربي! ماذا عليَّ أن أفعل، أنا البائسة في هذه الدنيا الغريبة؟».

فقال القزم: «إذا كان هذا كل شيء، لا تخافي. سأعلمك غزل الخيوط الذهبية بمهارة، لكن بشرط واحد وهو أن أجدك في هذا الوقت نفسه في العام القادم في هذا المكان بالضبط. بعدها، إذا

Twitter: @ketab_n

لم تحزري اسمي المحترم، فستصبحين زوجتي، وسأخذك بعيداً في هذه العربة. لكن إنْ حزرته، سأتركك بسلام. لكني سأخبرك بالآتي: إنْ اخترت إخفاء نفسك في أي مكان في هذا الوقت من العام المقبل، ولو طرت بعيداً جداً في السماء، فسأجدك، وسألوي عنقك. إذن، هل توافقين على هذا؟».

الحق يقال إن هذا الحال لم يكن مرضياً جداً بالنسبة لهانكا، لكن ماذا بوسع المسكينة أن تفعل؟ وفي الحال فكرت في نفسها: «دعي الأمر على الرب، سواء مت بهذه الطريقة أو تلك!». وقالت: «أنا موافقة».

ولما سمع القزم هذا قام بثلاث دورات حولها بعربته الذهبية، ثم جلس تحت فلكة المغزل، وراح يردد:

«هكذا، يا هانيتشكا، هكذا!»

«هكذا، يا هانيتشكا، هكذا!»

«هكذا، يا هانيتشكا، هكذا!»

فعلمها ولقنها غزل الخيوط الذهبية. وبعد ذلك، اختفى كما ظهر أولاً، وغُلِق الجدار وراءه من تلقاء نفسه. ومُذاك، صارت

Twitter: @ketab_n

آنستنا غزّالة ذهبية حقيقية، تجلس تحت فلكة المغزل، وتنظر كيف أن مواد الغزل تتناقص فيما تتزايد الخيوط الذهبية، وراحت تنسج وتنسج، وعند الصباح لم يكن عندها شيء تغزله، بل كانت تنام نوماً هانئاً حسب الاتفاق مع زوجها. وفي الصباح، حالما استيقظ النبيل الشاب، ارتدى ملابسه ومضى لزيارة الغزّالة الذهبية. عندما دخل الغرفة أعماه البريق، و لم يصدق عينيه، فكل شيء كان ذهباً يلمع. وعندما شعر بالقناعة في ما كان، اندفع يعانق الغزّالة الذهبية، وأعلن أنها زوجته حقاً وفعلاً. وعاشا في تقى وورع، وإذا كان صاحبنا النبيل الشاب قد أحب هانيتشكا في السابق لغزلها الذهبي، فقد أحبها بعد ذلك آلاف المرات على ابنه الرائع الذي حملت به في تلك الأثناء.

لكن ماذا بعد ذلك؟ فبما أن ما من درب بلا نهاية، فان سعادة زوجيْنا لن تدوم إلى الأبد. وتعاقبت الأيام الواحد تلو الآخر حتى اقترب الموعد المحدد في غضون مدة. وغدت هانكا الآن تزداد حزناً لحظة بعد أخرى، واحمرت عيناها وكأنها خبز محمص، و لم تكن تقوى على فعل شيء سوى الدبيب مثل ظل من غرفة إلى غرفة. فقد كان، بالفعل، شيئاً خطيراً للأم الشابة أن تفقد كل شيء مرة واحدة، زوجها الطيب وابنها الرائع! وحتى

Twitter: @ketab_n

الآن لا علم لدى زوجها المسكين بأي شيء، لكنه يسعى لمؤاساة زوجته بقدر ما يستطيع، لكنها لم تكن تشعر بالراحة. وعندما كانت تفكر بأنها ستكون ملك قزم قميء بدلاً عن زوجها الوسيم، كانت تضرب نفسها بالجدران من فرط العذاب. وأخيراً تمكنت من التغلب على نفسها، وكشفت كل شيء لزوجها كما حدث معها في تلك الليلة الأولى. وشحب زوجها من الرعب كشحوب جدار أبيض، وأذاع خبراً في المقاطعة كلها أنه إذا كان أحد يعرف قزماً، ويعطي اسمه الحقيقي، فسيعطيه قطعة ذهب بحجم رأسه. فراح الجار يهمس لجاره: «آه! أي ثروة ستكون هذه القطعة الذهبية!». وتفرقوا في الاتجاهات كلها، يتفحصون أركان المدينة، وينظرون في الجحور، يبحثون ويبحثون وكأنهم يبحثون عن إبرة، لكن بعد كل شيء، لم يعثروا على شيء. فلا أحد يعرف القزم وما من أحد رآه، أما اسمه فما من بشر يستطيع حزره. في ظروف كهذه، حلّ اليوم الأخير، لم يُرَ شيء من القزم أو يُسمع خبر عنه، أما صاحبتنا هانكا، التي كانت تحتضن ابنها على صدرها، فكانت تفرك كفيها مخافة أن تفقد زوجها. وعمد زوجها الحزين، الذي ذوت عيناه من البكاء، إلى الفرار من النظر إلى عذاب زوجته، ووضع سلاحه على كتفه، وأحكم وضع الرسن بروؤس كلابه ومضى للصيد. وبعد وقت الصيد ـ الذي

Twitter: @ketab_n

كان زهاء بعد ساعة الغداء ـ صارت السماء تبرق في الاتجاهات والنواحي كلها، وانهمر مطر غزير جعل من العيب أن يخرج أحدهم كلبا إلى الدروب، وفي خضم هذه العاصفة مضى خدم صاحبنا النبيل الشاب يبحثون عن ملجأ يقيهم، فحدث أن بقي لوحده مع خادم واحد على تل مكتظ الشجر غير معروف، وكانا منقّعين يقطر منهما الماء كجرذ مبلل.

نظر سيئا الحظ، السيد وخادمه، في النواحي كلها علهما يجدان كوخ راعٍ أو سقيفة ماشية يلجآن إليها، لكن ما من شيء لا هناك أو هناك. وأخيراً، عندما كانا يحملقان عيونهما، شاهدا من جهة ثقب منجم، نفث دخاناً متكوراً، وكأنه يخرج من أتون الكلس. فقال النبيل الشاب لخادمه: «اذهب، أيها الغلام، وانظر من أين يخرج هذا الدخان، ينبغي أن يكون هناك ناس. واسألهم إذا كانوا يستطيعون إيواءنا الليلة».

فمضى الخادم وعاد في لحظة بأخبار تفيد أن لا باب هناك، ولا سقيفة، ولا ناس. فقال اللورد إلى خادمه وهو يصك أسنانه: «هه! يا لك من أخرق! سأذهب بنفسي، وأنت عقاباً لك، ستبقى تتبلل وتتجمد».

حسن، تولى اللورد الطيب العمل بيديه، لكنه لم يلمح أي

Twitter: @ketab_n

شيء، باستثناء أن الدخان كان يخرج باستمرار من جانب الأنبوب. وأخيراً قال باشمئزاز: «حتى لو فعل الشياطين ما فعلوا، لابدّ من أن أعرف من أين يأتي هذا الدخان كله».

وهكذا مضى إلى الثقب نفسه، وجثا إلى جانبه واختلس النظر منه. وبينما كان ينظر بهذا النحو، لمح في مكان ما تحت الأرض طعاماً يُعد في مطبخ، وكانت صحون لشخصين موضوعة على مائدة من الصخر. وحول هذه المائدة يدور قزم صغير يرتدي قبعة حمراء ويدفع بيديه عربة ذهبية، ومن وقت لوقت، عندما يكمل دورته يغني:

«جعلت لذاك اللورد الشاب غزّالة ذهبية،

ستحاول أن تحزر اسمي الليلة،

فإن حزرت اسمي بدقة،

تركتها،

وإن لم تحزره

أخذتها:

وأنا مارتينكو كلينغاس».

Twitter: @ketab_n

ومرة أخرى ركض حول المائدة مثل مسعور وصاح:

«أعددت تسعة أطباق للعشاء،

«سأضع الغزّالة في سرير حريري،

لو أنها حزرت».

لم يرد النبيل الشاب أي شيء أكثر من هذا، فركض بأسرع ما تستطيع ساقاه أن توصله إلى خادمه، وبما أن الجو ما زال فيه شيء من الضوء، فقد حالفهما الحظ بما يكفي ليجدا طريق الخروج، ومنه سارعا عائدين إلى ديارهما. فوجد زوجته في البيت غارقة في عذابها وبؤسها تتدفق الدموع من عينيها، لظنها أنها لن تستطيع حتى توديع زوجها، البعيد الآن، لكن «لا تحزني يا زوجتي»، كانت هذه هي أول كلمات خرجت من فم النبيل حينما دخل الغرفة، وأردف: «عرفت ما تطلبين، اسمه مارتينكو كلينغاس».

ثم، وبلا توقف، روى لها كل شيء، أين ذهب وماذا حدث معه. لم تكد هانكا تستطيع وضع أقدامها على الأرض من الفرح، واحتضنت زوجها وقبلته، وانطلقت مسرورة إلى الغرفة، التي أمضت فيها ليلتها الأولى، لتتم غزل الخيوط الذهبية. وعند منتصف الليل، انفتح الجدار، فدخل القزم بقبعته الحمراء، كما

Twitter: @ketab_n

فعل في هذا الوقت من العام الماضي، وركض حولها دائراً بعربته الذهبية ويصيح ملء رئتيه:

«إذا حزرت اسمي، تركتك،

ولو لم تحزريه، أخذتك،

هيا احزري، هيا احزري!».

فقالت هانكا «سأحاول أن أحزر، اسمك مارتينكو كلينغاس».

وحالما نطقت بذلك حتى قبض القزم الصغير على عربته، ورمى قبعته على الأرض، وغادر كما جاء، وانغلق الجدار، وتنفست هانكا الصعداء. ومنذ ذلك الوقت، لم تعد هانكا تغزل ذهباً، بل لم تكن مضطرة لتفعل ذلك، لأنهما صارا أغنياء بما يكفي. وعاشت هي وزوجها بسعادة معاً، وكبر ابنهما مثل شجرة غضة على جانبها يجري الماء، واشتريا بقرة، وفي رقبة البقرة جرس، وهنا تنتهي حكايتي.

Twitter: @ketab_n

أغاضب أنت؟

في مكان ما، وفي زمن ما، كانت ثمة قرية هناك، يعيش فيها أب مع أولاده الثلاثة. وكان أحدهم أبله، وكان يجلس دوماً عند ركن الموقد[1]، لكن الاثنين الآخرين كانا يُعدّان ذكيين. وذهب أحد هذين الأخوين ليعمل في قرية أخرى ليست ببعيدة عنهم. ووضعت أمه على ظهره كيسا ملأته بالكعك المحمص على الجمر. ووصل إلى أحد البيوت واتفق مع سيده مشترطاً عليه أن أياً منهما يغضب أولاً يُقطَع انفه.

وتوجه العامل ليدرس الحنطة. لكن سيده لم يناده للفطور أو للغذاء. فسأله سيده: «ها، يا ميشيك، هل أنت غاضب؟».

فرد عليه: «وماذا هناك لأغضب من أجله؟».

(1) يضع جامع هذه الحكايات «المدخنة» ويشير في الهامش إلى إن العبارة في الأصل «عند ركن الموقد»، والموقد يستخدم للطبخ أو التدفئة. لكن وضع مقابلها في الاستخدام الانجليزي، اقتضى اختيار المدخنة. ولعل المدخنة والموقد مستخدمان في المجتمعات العربية، على أن «الموقد»، ربما، أكثر قرباً إلى الموروث العربي عموماً(م).

Twitter: @ketab_n

وحلّ المساء، وأُعدَّ العشاء، ومرة أخرى لم يدعُ ميشيك. فسأله سيده: «ها، يا ميشيك، هل أنت غاضب؟».

فرد: «وماذا هناك لأغضب من أجله؟».

ولم يكن غاضباً لأن ما زال لديه من كعك البيت. وفي اليومين الثاني والثالث، فرغ الكيس، لم يُستدعَ للغداء أيضاً. فسأله سيده: «ميشيك، ألست غاضباً؟».

فقال: «ألم يكن الشيطان نفسه ليغضب، عندما تقتلني جوعاً هكذا؟».

عندها استلّ سيده سكيناً وقطع أنفه.

فقال له أخوه الأصغر منه، بافكو: «كم أنت مغفل! ابقَ هنا، سأذهب! هيه، يا أمي، حمِّصي لي بعض الكعك على الجمر!». وهيأ بافكو أشياءه ومضى مباشرة إلى القرية نفسها وإلى البيت نفسه، وعمل لدى السيد نفسه، وبشرط أن أياً من أحدهما يغضب أولاً يُقطَع أنفه. وكلفوه أيضاً أن يدرس الحنطة لثلاثة أيام، لكن لا في اليوم الأول، أو في اليوم الثاني، أو في اليوم الثالث، قد دعاه أحد إلى تناول وجبة. فقال له سيده: «بافكو، ألستَ غاضباً؟».

Twitter: @ketab_n

فرد بافكو: «ألم يكن الشيطان نفسه ليغضب منك؟ لقد التصقت بطني على ظهري».

حينئذ استلّ سيده سكيناً وقطع أنف بافكو. وعاد بافكو إلى الدار بلا أنف، وقال لأخيه الأكبر: «ذاك منزل ضيافته وحشية، حتى أنف الشيطان سيقطع فيه». عندها صاح آدم، أصغر الإخوة، من ركن الموقد: «أنتما معتوهان! سأذهب، وسترون كيف أفعل».

ومضى والكعك المحمص على الجمر بكيسه، وراح بالضبط للقرية نفسها التي ذهب إليها أخواه، وعمل لدى السيد نفسه وبشرط أن أياً منهما يغضب أولاً يُقطَع أنفه. لكن آدم يعرف كيف يتصرف بذكاء. إذ عندما لم يناده سيده لتناول الغداء، مضى إلى الحانة حاملاً ما درسه من حنطة ورهنها كله. وجاء سيده و لم يرَ حبة قمح. عندها سأله آدم: «ها سيدي، أغاضب أنت؟».

فرد السيد: «و لِمَ عليَّ أن أغضب؟».

وتكرر هذا الحال مرات عدة، وكان سيده يقول دوماً إنه ليس غاضباً، خشية أن يفقد أنفه. ومضى الحال على هذا حتى جاء يوم اضطر السيد والسيدة أن يخرجا من البيت، وأمرا آدم

Twitter: @ketab_n

لدى عودتهما بأن يذبح أول خروف ينظر إليه عندما يدخل إلى الإصطبل ويعدّه ويطبخه في قدر، ويضع معه بقدونس. فذهب آدم إلى الإصطبل بضجة وضوضاء، كي يجعل الخرفان كلها تنظر إليه في وقت واحد، وعندها ذبحها جميعها. وأعدها ووضعها في قدر، لكن بدلاً عن البقدونس، رمى كلباً كانوا ينادونه بهذا الاسم. وجاء السيد والسيدة ليسألا آدم عما إذا فعل كل شيء بنحو صحيح.

فقال لهما: «ذبحت الخرفين وألقيت بقدونس في القدر حتى رأيت قوائمه».

وتوجه إلى سيده: «والآن، سيدي، هل أنت غاضب؟».

فرد السيد عليه: «ولِمَ عليَّ أن أغضب؟». لأنه يفضل الإبقاء على أنفه.

وفي عشية عيد الميلاد، عندما كان عليهم الذهاب إلى الكنيسة، كان الظلام دامساً. فقال السيد لآدم: «من المستحسن لو أضاء أحد ما لنا الطريق إلى الكنيسة».

فقال آدم: «اذهبا! اذهبا! سأنير لكما الدرب».

Twitter: @ketab_n

فتناول ناراً وأضرم السقف حتى اشتعل البيت بأكمله.

وهرع السيد، فقال له آدم: «سيدي، أأنت غاضب؟».

فقال: «و لِمَ عليَّ أن أغضب؟» لأن أنفه كان أغلى عليه من بيته. لكن ماذا يمكنه أن يفعل وهو لا يملك بيتاً، لا يملك شيئاً؟ وراحوا يهيمون على وجوههم، السيد، والسيدة، والخادم. فأرادا أن يقتلاه، ودبرا خطة هي أنه عندما ينام، يعمد سيده إلى رميه في الماء. لكن آدم كان واعياً لهذا الأمر، فلم ينم في الجهة القريبة من الماء، بل نهض في الليل وألقى سيدته، التي كانت في تلك الجهة، في الماء. واستيقظ سيده ورأى أن زوجته غرقت، وبدأ يبكيها.

وهنا سأله آدم: «ها، سيدي، أغاضب أنت؟». فرد السيد: «ألم يكن الشيطان نفسه ليغضب، بعد أن أفقدتني كل شيء؟».

فأخذ آدم سكيناً وقطع أنف سيده. وبعدها ركض إلى البيت، وقال لأخويه: «والآن تريان، أيها المتذاكيان، لقد حصلت على الأنف».

Twitter: @ketab_n

ملاحظات لاحقة

Twitter: @ketab_n

طويل وعريض وحاد البصر

تبدو لي هذه الحكاية أنها كناية عن العلوم الطبيعية صيغت ببراعة. فهي ليست مجرد «أسطورة طبيعة» تعرض لتباري وانتصارات وهزائم قوى الطبيعة. إذ لدى تأويلنا لها، علينا التمييز بين الآلة المجردة والفاعلين الأساس. فابن الملك لا يفعل شيئاً بنفسه، إنما يؤدي العمل كله الرجال الثلاثة، الذين وضعهم في خدمته. وأرى في ابن الملك إنساناً يرغب بزراعة الأرض التي هي الأميرة التي يسجنها الساحر، أي الجفاف. وقد أطلق سراحها بقوة ثلاث ظواهر تؤذن بفصل ماطر، قوس قزح (طويل) الغيم (عريض) والبرق (حاد البصر). إذ أن بوسع الإنسان، وبمساعدة هذه الظواهر الثلاث، زراعة الأرض. لذا فإن مثل هذه الحكاية لا يمكن أن يظهر إلا في بلاد ينتظم فيها هطول المطر. فعودة النباتات سريعاً وظهور الأسماك فوراً في جداول جافة أمر معروف في بلاد الهند. إذ من الواضح أن الحكاية الشائعة عن الأميرة النائمة جزء من أسطورة تعرض مجازاً يقظة كل الأشياء سريعاً عندما تحرر من رَبَقة الجفاف.

Twitter: @ketab_n

ومن الممكن أيضاً عدُّ الأمير بأنه الشمس التي لا يمكن أن تقترن بالأرض الجافة المستعبدة، حتى تضعها في خدمتها بمساعدة الظواهر الثلاث نفسها. فأولئك الذين قد حاولوا قبله إطلاق سراح الأميرة لعلهم كانوا الشموس التي تسبق فصل الأمطار، والذين لم يحظوا بمساعدة طويل وعريض وحاد البصر.

Twitter: @ketab_n

شعرات الجد «آلنو» الذهبية الثلاث

هذه الحكاية نص بديل[1] للحكاية التي أوردها غريم[2] «العملاق ذو الشعرات الذهبية الثلاث»، لكن في حين أن ما من شيء في حكاية غريم يشير إلى هوية العملاق، أو ما إذا كانت لديه ثلاث شعرات ذهبية ثلاث وحسب، فيما يتجلى في هذه الحكاية البوهيمية أن «الجد آلنو» هو الشمس، وما الشعرات الذهبية الثلاث سوى أشعتها الثلاثة.

(1) نص بديل Variant، أو «رواية مختلفة»: حكاية أو قصة أو رواية توضع لمحاكاة عمل سابق لكنها تحتفظ ببعض عناصره الرئيسة مع أحداث تغيرات في مسار الأحداث أو مصائر شخصياتها(م).

(2) غريم واسمه الكامل جاكوب غريم Jacob Grimm فيلسوف اللغة والفولكلوري الألماني (1785–1863)، يشار إليه وإلى أخيه فيلهلم غريم Wilhelm Grimm–(1785–1863) باسم «الإخوة غريم»، وقد كان الاثنان لسانيين وفيلسوفين وجامعين لحكايات ألمانية(م).

Twitter: @ketab_n

ذهبية الشعر

هذه الحكاية حكاية بديلة، بل حكاية بديلة رائعة، لحكاية جريم «الثعبان الأبيض». فالماء بنوعيه هذين الظاهرين هنا، واحد للموت وآخر للحياة، يبين أنها حكاية سلافية حقاً، وليست توتونية Teutonic[1].

(1) تيوتون Teutons اصطلاح قديم يشير إلى الفرع الألماني من عائلة الألسن الهندو أوروبية. أما الصفة، تيوتوني، فتعني توافر خصائص معينة تنسب - في المستوى الشعبي - إلى الألمان(م).

Twitter: @ketab_n

جورج صاحب المعزاة

تتصل هذه الحكاية بقصة غريم «الإوزة الذهبية»، لكن بناءها أكثر عقلانية، وأحداثها أشد متعة. إذ يظهر أن الرجل الذي يقفز مائة ميل يمثل قوس قزح، والرجل الذي يعصب عينيه هو البرق، والثالث صاحب القنينة السحاب. ويشابه تأويلها بنحو كبير تأويل الحكاية الأولى، لكن الكناية في كل الأحوال أكثر وضوحاً وأحكم بناء. أما النهاية التي لا معنى لها، فهي عينة من طريقة عادة ما ينهي بها الرواة حكاياتهم في اللغات السلافية كلها.

Twitter: @ketab_n

الإخوة الأربعة

أعتقد أن هذه الحكاية متصلة بدائرة سيريس وبيرسافوني[1] سوى أن الابنة هنا فقدها والدها بدلاً من أمها. ولعل من الممكن أيضاً فهم أن ترتيب الإخوة في ختام الحكاية، ليس هو نفسه كما في الحكاية نفسها. وأعتقد أن الخطأ في الحكاية هو أن المنجِّم كان ينبغي أن يكون هو أصغر الإخوة بدلاً من الصياد. فالإخوة هم فصول السنة الأربعة، التي كانت تبدأ في العصور القديمة بفصل الربيع، المرتِّق، الذي يصلح الأشياء كلها، ثم يأتي الصيف، اللص، الذي يجمع غلَّة الأرض، ويأتي ثالثاً الخريف، الصياد، عندما تهلك وتتناقص بحدود معينة الحيوانات البرية التي تكاثرت وتزايدت أعدادها خلال العام، وأخيراً يأتي الشتاء، المنجِّم، حينما تحكم حسابات محددة عملية الحرث والبذار

(1) Ceres and Proserpine يطلق عليها في الأساطير اليونانية بيرسافوني، ابنة زيوس التي أخذها بلوتو، إله العالم السفلي، إلى عالمه (حيث تعيش أرواح الموتى)، وجعلها ملكة عليه. ثم سمح زيوس لها بالعودة، لكن كل ستة شهور من كل عام، من بداية الربيع حتى نهاية الصيف. وعلى هذا، فهي تمثل الموت والبعث، وتغير الشتاء إلى ربيع. وتذكرها الأساطير الرومانية باسم بروسيرينا، وفي الإنجليزية يطلق عليها أحياناً برسيراين(م).

Twitter: @ketab_n

والعمليات الزراعية الأخرى التي تستمر طوال العام. على هذا فالأميرة نفسها، وهي الأرض أو خصوبتها، تمنح إلى مَنْ يمثل الشتاء، في حين أن الفصول الأخرى أمراء كل في حينه.

توفر هذه القصة المورافية مقارنة مؤاتية مع قصة غريم عن «الإخوة الأربعة المتعاضدون»، حيث لا تعطى الأميرة لأي واحد من الإخوة.

Twitter: @ketab_n

الغزّالة الذهبية

من الممكن مقارنة هذه الحكاية بحكاية «رومبلستيلتسكن» التي أوردها غريم. فالمبدأ هو نفسه، لكنني أعتقد أن الاختلاف في التفاصيل يميل كثيراً لصالح هذه الحكاية السلوفينية.

Twitter: @ketab_n

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

كلمة
KALIMA

ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

ISBN 978-9948-01-351-8
9 789948 013518